

الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية

تيسير تفسير النسفي

جزء تبارك

للصف الثاني الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٢ هـ
٢٠٢٠ - ٢٠٢١م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛

فهذا كتاب «تيسير تفسير النسفي لجزء تبارك» المقرر على الصف الثاني الثانوي، توخَّينا فيه تسهيل العبارة، وتوضيحها بما يتناسب وعقول أبنائنا الطلاب، وراعينا فيه الآتي:

١ـ تقسيم السورة إلى موضوعات رئيسة ووضع عنوان لكل فقرة.

٢ـ حذف القراءات غير المتواترة، والتي لا يتعلق بها المعنى.

٣ـ عزو الآيات المستشهد بها أثناء التفسير إلى سورها.

٤ـ تخريج الأحاديث وأسباب النزول والحكم عليها.

٥ـ استخراج الأسرار البلاغية من كل سورة.

٦ـ ذكر الدروس المستفادة من السورة.

٧ـ إضافة أسئلة في نهاية كل سورة.

واللَّهَ نسأل أن ينفع بعملنا هذا الطلاب، وأن يرزقنا عليه جزيل الثواب، وصلى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه وسلم.

لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف



أهداف الدراسة

بنهاية دراسة مادة التفسير يُتوقع من الطالب أن:

١ـ يعرف مقاصد سور جزء تبارك، وما اشتملت عليه من موضوعات.

٢ـ يعرف معاني المفردات الغامضة.

٣ـ يقف على التفسير التحليلي للآيات.

٤ـ يقف على أوجه الإعراب المُعِينَة على استيعاب المعاني.

٥ـ أن يدرك الطالب جوانب العظمة والهداية والإعجاز للقرآن من خلال المقرر.

٦ـ يتذوق الأسرار البلاغية للقرآن الكريم من خلال سور جزء تبارك.

٧ـ يستنبط الدروس المستفادة من السور.

***

سورة الملك
مكية وهي ثلاثون آية

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

وتسمى الواقية والمنجية؛ لأنَّها تقِي قارئها وتنجيه من عذاب القبر.

مظاهر قدرة اللَّه تعالى:

﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين، وكثر خيره ودام ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود، وهو مالك الملك يؤتيه مَنْ يشاء وينزعه ممن يشاء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من المقدورات ﴿قَدِيرٌ﴾ قادر على الإيجاد والإمداد، والإشقاء والإسعاد.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ الاسم الموصول خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، أو بدل من الاسم الموصول الذي قبله ﴿وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ أي: تعلق الروح بالبدن واتصاله به، والموت ضدّه، والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت والحياة، فيظهر منكم ما علم أنَّه يكون، فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم ﴿أَيُّكُمْ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أخلصه وأصوبه، فالخالص: أن يكون لوجه اللَّه، والصواب: أن يكون على سنة رسول اللَّه ﷺ.

والمراد: أنَّه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل، وكتب عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾

وقُدِّم الموت على الحياة؛ لأنَّ أقوى داعٍ للناس إلى العمل أن يضع الإنسان موته بين عينيه.

ولمَّا قدَّم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف، قدَّم صفة القهر على صفة اللطف بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: الغالب الذي لا يعجزه مَنْ أساء العمل ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ الكثير المغفرة والستر لذنوب عباده إذا تابوا.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾ مطابقة بعضها فوق بعض، مِنْ طابق النعل: إذا خصفها طبقًا على طبق، والخطاب في قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ للرسول ﷺ، أو لكل مخاطب ﴿مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ أي: من اختلاف واضطراب، وحقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأنَّ بعض الشيء يفوت بعضًا ولا يلائمه، وهذه الجملة صفة لـ ﴿طِبَاقٗاۖ﴾، وأصلها: ما ترى فيهنَّ من تفاوت. ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ رُدَّه إلى السماء ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ جمع فطر، من شقوق، وهو الشَّقّ.

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ أي: كرِّر النظر مرتين مع الأولى، وقيل: سوى الأولى، فتكون ثلاث مرات، وقيل: لم يرد الاقتصار على مرتين، بل أراد به التكرير بكثرة، أي: كرِّر نظرك ودقِّقه هل ترى خللًا أو عيبًا؟ وجواب الأمر: ﴿يَنقَلِبۡ﴾ أي يرجع ﴿إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾ ذليلًا، أو بعيدًا مما تريد، وهو حال من البصر ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ كليلٌ منقطعٌ عن أن يرى عيبًا أو خللًا.



﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾

جانب من أهمية الكواكب:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ القريبة منكم ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ أي: لأعدائكم الذين يُخرجونكم من النور إلى الظلمات. قال قتادة: «خلق اللَّه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدى بها؛ فمَنْ تَأَوَّلَ فيها غير ذلك، فقد تكَلَّفَ ما لا علم له به»، والرجوم: جمع رجم، وهو مصدر سُمِّي به ما يرجم به، ومعنى كونها رجومًا للشياطين: أن ينفصل عنها شهاب من نار فيقتل الجنِّي ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

مصير الكفار:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ أي: ولكلِّ مَنْ كفر باللَّه من الشياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: وبئس المرجع جهنم.

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ طُرحوا في جهنم كما يُطرح الحطب في النار العظيمة ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ لجهنم ﴿شَهِيقًا﴾ صوتًا منكرًا كصوت الحمير، شبَّه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ تغلي بهم.



﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ ﴾ أي: تَتَمَيَّز، يعني: تتقطع وتتفرق ﴿ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ ﴾ على الكفار، فجُعلت كالمغتاظة عليهم، استعارة لشدة غليانها بهم ﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ ﴾ جماعة من الكفار ﴿ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ ﴾ مالك وأعوانه من الزبانية؛ توبيخًا لهم ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾ رسول يُخوِّفكم من هذا العذاب ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ ﴾ اعتراف منهم بعدل اللَّه، وإقرار ببعث الرسل ﴿ فَكَذَّبۡنَا ﴾ أي: فكذبناهم ﴿ وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ ﴾ ممَّا تقولون مِنْ وَعْدٍ ووعيد وغير ذلك ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾ أي: قال الكفار للرسل: ما أنتم إلا في خطأ عظيم.

﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ ﴾ الإنذار سماع طالب الحق ﴿ أَوۡ نَعۡقِلُ ﴾ أي: نعقله عقل متأمل ﴿ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ في جملة أهل النار ﴿ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ ﴾ بكفرهم في تكذيبهم الرسل ﴿ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ ﴿ فَسُحۡقٗا ﴾ منصوب على أنَّه مصدر وقع موقع الدعاء، أي: فبُعدًا لهم عن رحمة اللَّه وكرامته، اعترفوا، أو جحدوا، فإنَّ ذلك لا ينفعهم.

وعد ووعيد

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ قبل معاينة العذاب ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ ﴾ للذنوب ﴿ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ أي: الجنة.



﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ﴾(١) معناه: لِيَسْتَوِ عندكم إسراركم وجهركم في علم اللَّه بهما، ثم عَلَّلَ بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ أي: بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها، فكيف لا يعلم ما تُكلِّم به!.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ ﴿ مَنْ ﴾ اسم موصول في محل رفع على أنَّه فاعل ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ اللطيف: العالم بدقائق الأشياء، والخبير: العالم بحقائق الأشياء.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ لينة سهلة مُذلَّلة لا تمنع المشي فيها ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ جوانبها أو جبالها أو طرقها ﴿ وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ أي: من رزق اللَّه فيها ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ أي: وإليه مرجعكم بعد موتكم، فيسألكم عن شكر ما أنعم به عليكم.

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: مَنْ ملكوته في السماء؛ لأنَّها مسكن ملائكته، ومنها تنزل كتبه وأوامره ونواهيه، أو لأنَّهم كانوا يعتقدون التشبيه، وأنَّه في السماء، وأنَّ الرحمة والعذاب ينزلان منه، فقيل لهم على حسب اعتقادهم: أأمنتم مَنْ تزعمون أنَّه في السماء، وهو متعالٍ عن المكان(٢) ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ كما خسف بقارون ﴿ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ تضطرب وتتحرك.

---

(١) رجع بالكلام مرة أخر إلى الكفار ليبين لنا جانبًا من الوعيد الذى توعدهم وهددهم به.

(٢) والآية من المتشابه والأولى أن يقال هو سبحانه فى السماء على المعنى الذى أراده مع كمال التنزيه له جل شأنه.

﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ ﴾

﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ ﴾ حجارة، و ﴿أَن يَخۡسِفَ﴾، و ﴿أَن يُرۡسِلَ﴾ بدل اشتمال من «مَنْ». ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ أي: إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم.

﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ من قبل قومك ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري عليهم إذا أهلكتهم، والاستفهام يفيد التهويل وشدة الهلاك.

ثم نبَّه على قدرته على الخسف، وإرسال الحاصب بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾ جمع طائر ﴿فَوۡقَهُمۡ﴾ في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٖ﴾ باسطاتٍ أجنحتهنَّ في الجو عند طيرانهنَّ ﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ أي: ويضممن أجنحتهنَّ إذا ضربن بها جنوبهنَّ. ﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ معطوف على اسم الفاعل؛ حملًا على المعنى: أي يصففن ويقبضن، أو صافاتٍ وقابضاتٍ ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع عند القبض والبسط ﴿إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ بقدرته، و ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ مستأنف، ويجوز أن يكون حالًا من الضمير في ﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ يعلم كيف يخلق، وكيف يدبر العجائب.

بعض مظاهر نعم اللَّه على خلقه

﴿ أَمَّنۡ ﴾ مبتدأ خبره ﴿هَٰذَا﴾، و ﴿ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ﴾ بدل من هذا، ومحلُّ ﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ رفع على أنَّه نعت لـ ﴿جُندٞ﴾، والمعنى: مَنْ المشار إليه بالنصر غير اللَّه تعالى ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ أي: ما هم إلا في غرور.

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ أم مَنْ يُشار إليه ويُقال: هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه، وهذا على التقدير، بأن (أم) متصلة و(مَنْ) استفهامية فى الآية السابقة وأما فى هذه الآية فإن (أم) منقطعة، (مَنْ) موصولة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان؛ لاعتقادهم أنَّهم يُحفَظون من النوائب ويُرْزَقون ببركة آلهتهم، فكأنَّهم الجند والناصر والرازق.

ثم أضرب عنهم فقال: ﴿ بَل لَّجُّوا۟ ﴾ تمادوا ﴿ فِى عُتُوٍّ ﴾ في استكبار عن الحق ﴿ وَنُفُورٍ ﴾ إعراض وتباعد عنه.

ثم ضرب مثلًا للكافرين والمؤمنين فقال: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ ﴾ أي: ساقطًا على وجهه يعثر كل ساعة ويمشي متعسفًا، ﴿ أَهْدَىٰٓ ﴾ أرشد وخير ﴿ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا ﴾ معتدلًا منتصب القامة ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ على طريق مستوٍ، وخبر «مَنْ» محذوف؛ لدلالة ﴿ أَهْدَىٰٓ ﴾ عليه[1].

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ ﴾ خلقكم ابتداء ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ خصها؛ لأنَّها أدوات العلم ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعم؛ لأنَّكم تشركون باللَّه، ولا تُخلصون له العبادة، والمعنى: تشكرون شكرًا قليلًا، وقيل: القلَّة عبارة عن العدم، أي: لا تشكرون أصلًا.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ ﴾ خلقكم[2] ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ للحساب والجزاء.

---

(١) المراد خبر (مَنْ) الثانية فى قوله (أم من)، ويجوز أن يكون (مَنْ) الثانية من عطف المفرد على المفرد كما فى قولك زيد أفضل أم عمرو.
(٢) أي: خلقكم خلقا يتكاثر.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾

إنكار الكافرين للبعث:

﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي: يقول الكافرون للمؤمنين استهزاء ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ الذي تعِدُوننا به، يعني العذاب ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في وقوعه فأعلمونا زمانه.

﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ ﴾ أي: علم وقت العذاب ﴿ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ ﴾ مخوِّف ﴿ مُّبِينٌ ﴾ أبين لكم الشرائع.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ أي: العذاب الموعود ﴿ زُلْفَةً ﴾ قريبًا منهم[1]، وهي منصوبة على الحال ﴿ سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: ساءت رؤية الوعدِ وُجوهَهم بأنْ علَتْها الكآبة.

﴿ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى ﴾ القائلون: الزبانية ﴿ كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾ تفتعلون، من الدعاء، أي: تسألون تعجيله وتقولون: ائتنا بما تعدنا، أو هو من الدعوى أي: كنتم بسببه تدَّعون أنَّكم لا تبعثون.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ ﴾ أي: أماتني اللَّه ﴿ وَمَن مَّعِىَ ﴾ من أصحابي ﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ أي: أخَّر في آجالنا ﴿ فَمَن يُجِيرُ ﴾ ينجي ﴿ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ مؤلم.

---

(١) أي عند الاحتضار، أو رأوه بمعنى يروه، والمراد: يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق الوقوع.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أي: الذي أدعوكم إليه الرحمن ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ صدَّقنا به، ولم نكفر به كما كفرتم ﴿ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ فوَّضنا إليه أمورنا ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: في خطأٍ وبعد عن الحق نحن أم أنتم.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ أي: بِمَاءٍ جارٍ يصل إليه مَنْ أراده.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ استعارة تمثيلية، أو في لفظ «اليدّ» مجاز عن الإحاطة والاستيلاء، ويكون قوله (الملك) على حقيقته.

ـ في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ استعارة تمثيلية، شبه معاملة اللَّه لعباده بالابتلاء والاختبار.

ـ في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ طباق.

ـ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ استفهام إنكاري للتقريع والتوبيخ زيادة لهم في العذاب.

ـ في قوله تعالى: ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا ﴾ استعارة مكنية، شبه شِدَّة استعارها وحسيسها بصوت الحمار.

ـ في قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ استعارة مكنية، شبه جهنم في



شدة غليانها ولهبها، بإنسان شديد الغيظ والحنق على عدوه مبالغة في إيصال الضرر إليه، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الغيظ الشديد.

- في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ﴾ مقابلة.

- في قوله تعالى: ﴿صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقْبِضْنَۚ﴾ بينهما طباق؛ لأن المعنى صافات وقابضات.

- في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ استعارة تمثيلية، مثّل المؤمن بمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم، ومثّل الكافر بمن يمشي مُكبًّا على وجهه إلى طريق جهنم.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ اللَّه مالك السموات والأرض في الدنيا والآخرة، وقادر على كل شيء من إنعام وانتقام.

٢ـ اللَّه هو الذي أوجد الموت وأوجد الحياة؛ ليعامل العباد معاملة المختبر، ويقيم الدليل عليهم أيهم أطوع له وأخلص.

٣ـ الآيات الكونية دليل على كمال قدرة اللَّه وتمام علمه.

٤ـ مصير الكافرين باللَّه، المكذبين رسله، عذاب جهنم في الآخرة، وبئس المرجع والمنقلب.

٥ـ وصف النار بأوصاف أربعة مرعبة رهيبة: هي سماع صوتٍ مُنْكرٍ لها، وغليانها بالكفار، وغضبها عليهم، وتعنيف الزبانية لهم؛ للتخويف منها.

٦ـ الذين يخشون اللَّه، ويخافون عذابه وعقابه، ويراقبونه في سرهم وعلنهم، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب كبير وهو الجنة.

٧ـ الدليل على كونه ـ تعالى ـ عالمًا بجميع الأشياء السرية والعلنية أنه هو الخالق للإنسان وأفعاله وأقواله، ومَنْ خلق شيئا لابدّ وأن يكون عالمًا بمخلوقه.

٨ـ لا ناصر ولا رازق للمؤمن والكافر في الحقيقة والواقع إلا اللَّه عز وجل.

٩ـ مَثَلُ الكافر في ضلاله وحيرته كالرجل المُنَكّس الرأس الذي لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله، ولا يأمن من الانكباب على وجهه، ومثل المؤمن في هدايته وتَبصُّره كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المستقيم المهتدي له، ولا شك بأن الثاني أهدى من الأول.

١٠ـ من البراهين على كمال قدرة اللَّه تعالى: تمكين الطيور من الطيران في الهواء، وخلق الإنسان وتزويده بطاقات السمع والبصر والفؤاد أو العقل، وخلق الناس مُوزَّعين مفرقين على ظهر الأرض، ثم حشر الناس يوم القيامة، لمجازاة كلّ بعمله؛ لأن القادر على البدء أقدر على الإعادة.

١١ـ الاعتماد والتوكل على اللَّه تعالى في كل حاجة، بعد اتخاذ الأسباب والوسائل المقدورة للبشر.

١٢ـ اللَّه تعالى هو القادر على إمداد خلقه بالأرزاق والأمطار والمياه النابعة، ولا أحد غير اللَّه عز وجل يقدر على ذلك.

١٣ـ اللَّه تعالى برحمته وفضله ومنّه وكرمه يمدّ عباده بما يحتاجون، وإن كفروا وجحدوا به.

الأسئلة

س١: ما معنى تبارك، وما المراد بالملك؟ وما معنى كونه بيده؟ وما السر البلاغي فيه؟ وما الحياة؟ وما الموت؟ ولماذا قدم الموت على الحياة؟

س٢: ما معنى فطور؟ وما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾؟ وما إعراب ينقلب؟ وما معنى خاسئًا؟ وما إعرابه؟

س٣: ما مرجع الضمير في ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ﴾؟ وما المراد من شهيق جهنم؟

س٤: ما معنى ﴿ذَلُولٗا﴾؟ وما المراد بمناكب الأرض؟ وما الغاية من المشي فيها؟

س٥: ما معنى صافات؟ وما مفعولها؟ ومتى يصففن، ومتى يقبضن؟ وعلام عطف قوله تعالى: ﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾؟

س٦: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾؟

س٧: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾؟ وما معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾؟

س٨: اشرح بإيجاز قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾.

س٩: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.



سورة «القلم»

(مكية وهي اثنتان وخمسون آية)

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾

نعم الله على نبيه ﷺ:

﴿نٓۚ﴾ الظاهر أن المراد به هذا الحرف من حروف المعجم، وسيقت هذه الحروف في مفتتح بعض السور؛ للتحدِّي والإعجاز.

﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ أي: ما كُتب به اللوح، أو قلم الملائكة، أو الذي يكتب به الناس، أقسم به؛ لِمَا فيه من المنافع والفوائد التي لا يُحيط بها الوصف ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ أي: ما يسطره الحفظة، أو ما يكتب به من الخير، و﴿مَا﴾ موصولة، أي: الذي يسطرون، أو مصدرية، أي: تسطيرهم، وجواب القسم:

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ أي: بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها، فـ﴿أَنتَ﴾ اسم ﴿مَآ﴾ وخبرها ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾، و﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ اعتراض بين الاسم والخبر، والباء في ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ تتعلق بمحذوف محلُّه النصب على الحال، والعامل فيها ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾[1] وتقديره: ما أنت بمجنون مُنْعَماً عليك بذلك.

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال رَمْيك بالجنون والصبر عليه ﴿لَأَجۡرًا﴾ لثوابًا ﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾ غير مقطوع، أو غير ممنون عليك به. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾

---

(١) وفي ذلك رد قاطع على أهل مكة المشركين حين قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾



﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾

أي: وإنَّك لصاحب الخلق العظيم الذي أمرك اللَّه به في القرآن، قالت عائشة ﵂: «كان خلقه القرآن»[١]. أي: ما فيه من مكارم الأخلاق.

﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴾ أي: عن قريب ترى وَيَرَوْنَ، هذا وَعْدٌ له ﷺ ووعيد لهم.

﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴾ المجنون، أي: بأي الفريقين منكم الجنون: فريق الإسلام، أو فريق الكفر.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ أي: هو أعلم بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله ﴿ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ أي: وهو أعلم بالعقلاء، وهم المهتدون.

بعض أخلاق الكفار الذميمة:

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ نهي معناه: التصميم على مخالفتهم[٢]، وقد أرادوا أن يعبد اللَّه مدةً وآلهتهم مدةً، وَيَكُفُّوا عنه شرورهم.

﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ ﴾ لو تلين لهم ﴿ فَيُدۡهِنُونَ ﴾ فيلينون لك، ولم ينصب قوله: ﴿ فَيُدۡهِنُونَ ﴾ بإضمار أن حيث إنَّه جواب التمني؛ لأنَّه عُدِل به إلى طريق آخر، وهو أنْ جُعل خبر مبتدأ محذوف، أي: فهم يدهنون، أي: فهم الآن يدهنون؛ لطمعهم في إدهانك.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) أي الاستمرار في مخالفتهم.

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ كثير الحَلف في الحقِّ والباطل، وكفى به زجرًا لِمَنْ اعتاد الحلف ﴿ مَّهِينٍ ﴾ حقير في الرأي والتمييز، من المهانة، وهي القلة والحقارة، أو كذَّاب؛ لأنَّه حقير عند الناس.

﴿ هَمَّازٍ ﴾ عيَّاب طعَّان مغتاب ﴿ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ نقَّال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم.

﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ بخيل، والخير: المال، أو منَّاع أهله من الخير وهو الإسلام، والمراد به: الوليد بن المغيرة عند الجمهور، وكان يقول لبنيه العشرة: مَنْ أسلم منكم منعته رفدي[1].

﴿ مُعْتَدٍ ﴾ مُجاوزٍ في الظلم حدَّه ﴿ أَثِيمٍ ﴾ كثير الآثام.

﴿ عُتُلٍّۭ ﴾ غليظ جافٍ ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعد ما عدَّ له من المعايب ﴿ زَنِيمٍ ﴾ دَعِيّ في قريش مُلصَق بالقوم وليس منهم.

﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ ﴾ أي: ولا تطعه مع هذه المثالب[2]؛ أي: ليساره وحظه من الدنيا ـ فجحد وكفر، ويجوز أن يتعلق بما بعده، أي: لأن كان صاحب مال ﴿ وَبَنِينَ ﴾، كذَّب بآياتنا، يدل عليه ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ قصص وأباطيل القدماء، وليس هو من عند اللَّه تعالى.

(١) عطائي.
(٢) المعايب.

﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ سَنَسِمُهُۥ ﴾ سنكويه ﴿ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴾ على أنفه، مهانة له وعلامة يُعرف بها، وتخصيص الأنف بالذكر؛ لأنَّ الوَسْم عليه أبشع.

قصة أصحاب الجنة:

﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ ﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرِّمم بدعاء النبي ﷺ حيث قال: «اللهم اشْدُد وَطْأَتك على مضر، واجعلها سنين كَسِنيِّ يوسف»[1]. ﴿ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ أصحاب البستان ﴿ إِذۡ أَقۡسَمُواْ ﴾ حلفوا ﴿ لَيَصۡرِمُنَّهَا ﴾ ليقطعنَّ ثمرها ﴿ مُصۡبِحِينَ ﴾ داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء، وهي حال من فاعل ﴿ لَيَصۡرِمُنَّهَا ﴾.

﴿ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ولا يقولون: إن شاء اللَّه، وسُمّي استثناء وإن كان شرطًا في الصورة؛ لأنه قائم مقام الاستثناء من حيث إنَّ معنى قولك: لأخرجنَّ إن شاء اللَّه، ولا أخرج إلا أن يشاء اللَّه واحدٌ.

﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أنزل اللَّه تعالى عليها نارًا فأحرقتها ﴿ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴾ أي: في حال نومهم.

﴿ فَأَصۡبَحَتۡ ﴾ فصارت الجنة ﴿ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ كالليل المظلم، أي: احترقت فاسودَّت، أو كالصبح، أي: صارت أرضًا بيضاء بلا شجر، وقيل: كالمصرومة، أي: كأنها صُرِمَت لهلاك ثمرها.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴾ نادى بعضهم بعضًا عند الصباح ﴿ أَنِ ٱغْدُوا۟ ﴾ بكِّروا ﴿ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ ولم يقل: إلى حرثكم؛ لأنَّ الغدوّ إليه ليَصْرِموه كان غدوًّا عليه، أو ضمَّن الغدوَّ معنى الإقبال، أي: فأقبلوا على حرثكم مبكرين ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾ مريدين صرامه.

﴿ فَٱنطَلَقُوا۟ ﴾ ذهبوا ﴿ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾ يخفضون أصواتهم فيما بينهم؛ لئلا يسمع المساكين.

﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ﴾ أي: الجنة ﴿ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ والنهي عن دخول المسكين نهي عن التمكين أي: لا تمكنوه من الدخول.

﴿ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ على جِدٍّ في منع الفقراء ﴿ قَٰدِرِينَ ﴾ على المنع.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ أي: جنتهم محترقة ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ أي: ضَلَلْنا جنتنا، وما هي بها، قالوا ذلك: لَمَّا رأوا هلاكها، فلمَّا تأملوا وعرفوا أنَّها هي قالوا: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ حُرمنا خيرها، ومُنعنا ثمرها.

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أعدلهم وخيرهم ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ هلَّا تسبِّحون، والتسبيح: تنزيه اللَّه عمَّا لا يليق به، أو لولا تذكرون اللَّه وتتوبون إليه من خبث نِيَّتكم.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ أقرُّوا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾ يلوم بعضهم بعضًا بما فعلوا من الهرب من المساكين، ويحيل كلٌّ واحدٍ منهم اللائمة على الآخر.

ثم اعترفوا جميعًا بأنَّهم تجاوزوا الحدَّ بقولهم: ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ بمنع حق الفقراء.

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ ﴾ من هذه الجنة ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾ طالبون منه الخير راجون لعفوه.

﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ أي: مثل ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لِمَنْ سلك سبيل أصحاب الجنة ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أعظم منه ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ لمَا فعلوا ما يُؤدِّي بهم إلى هذا العذاب.

لا يستوي المطيع والعاصي

ثم ذكر ما أعده تعالى للمؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ عن الشرك ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا.



﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ استفهام إنكاري، أي: أَنجُور في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين؟. ثم قيل لكفار قريش على طريقة الالتفات: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكم الأعوج، وهو التسوية بين المطيع والعاصي، كأنَّ أمر الجزاء مُفوّضٌ إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم.

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ ﴾ من السماء ﴿ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ أي: تقرؤون في ذلك الكتاب.

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ أي: إنَّ ما تختارونه وتشتهونه لكم، وتخيَّر الشيء واختاره: أخذ خَيْرَهُ.

﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا ﴾ عهود مؤكدة بالأيمان ﴿ بَٰلِغَةٌ ﴾ نعت لـ ﴿ أَيْمَٰنٌ ﴾، ويتعلق قوله: ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ببالغة أي: أنَّها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ به لأنفسكم، وهو جواب القسم؛ لأن معنى ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا ﴾ أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد.

إنذار المشركين:

﴿ سَلْهُمْ ﴾ أي: المشركين ﴿ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ ﴾ الحكم ﴿ زَعِيمٌ ﴾ كفيل وضامن.

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ ﴾ أي: ناس يشاركونهم في هذا القول، ويذهبون مذهبهم فيه ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ في دعواهم. يعني: أنَّ أحدًا لا يُسلِّم لهم هذا، ولا يُساعِدُهم عليه، كما أنَّه لا كتاب لهم ينطق به، ولا عهد لهم به عند اللَّه، ولا زعيم لهم يضمن لهم هذا من اللَّه.

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤﴾

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ نُصب الظرف ﴿يَوۡمَ﴾ بقوله: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ﴾، أو نُصب بفعل مضمر تقديره: اذكر، والجمهور على أنَّ الكشف عن الساق كناية عن شدة الأمر وصعوبة الخطب، فمعنى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ يوم يشتد الأمر ويصعب ﴿وَيُدۡعَوۡنَ﴾ أي: الكفار ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ لا يُدعون تكليفًا، ولكن توبيخًا على تركهم السجود في الدنيا ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ ذلك؛ لأنَّ ظهورهم حينئذٍ لا تنثني عند الخفض والرفع.

﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلة، وتعرب حالًا من الضمير في ﴿وَيُدۡعَوۡنَ﴾، ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: يُدعون في حال خشوع أبصارهم ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾ يغشاهم ذل وهوان ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ﴾ على ألسن الرسل ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ أي: وهم أَصِحَّاء فلا يسجدون، فلذلك مُنعوا عن السجود في الآخرة.

﴿فَذَرۡنِي﴾ يُقال: ذرني وإياه أي: اترك أمره إليَّ، فإنِّي أكفيك شره ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ معطوف على المفعول، أو مفعول معه ﴿بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ بالقرآن. والمراد: اترك أمره إليَّ، وَخَلِّ بيني وبينه؛ فإنِّي عالم بما ينبغي أن يُفعل به، فلا تَشْغَل قلبك بشأنه، وتوكل عليَّ في الانتقام منه، وهذا تسلية لرسول اللَّه ﷺ وتهديد للمكذبين ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ سنقربهم من العذاب درجة درجة، واستدراج اللَّه تعالى العصاة: أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق اللَّه سببًا في ازدياد المعاصي ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ من حيث لا يشعرون أنَّه استدراج. قيل: كلَّما جدَّدُوا معصية جدَّدنا لهم نعمة، وأنسيناهم شكرها.

﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٦ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ ﴾

﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ ﴾ أي: وأُمْهلُهم ﴿ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾ قويٌّ شديدٌ، فسمى إحسانه وتمكينه كيدًا كما سماه استدراجًا؛ لكونه في صورة الكيد حيث كان سببًا للهلاك[1]. والأصل: أنَّ معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الَأخْذُ مِنْ جهة الأمن، ولا يجوز أن يُسمَّى اللَّه كائدًا وماكرًا ومستدرِجًا.

﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ ﴾ غرامة ﴿ مُّثۡقَلُونَ ﴾ فلا يؤمنون، والاستفهام بمعنى النفي أي: لستَ تطلب أجرًا على تبليغ الوحي، فيثقل عليهم ذلك، فيمتنعوا عن الإيمان لذلك.

﴿ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ ﴾ أي: اللوح المحفوظ عند الجمهور ﴿ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ منه ما يحكمون به.

أمر الرسول ﷺ بالصبر على قومه:

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم؛ لأنَّهم وإن أُمهلوا لم يُهملوا ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾ كيونس عليه السلام في العجلة والغضب على القوم حتى لا تُبتلى ببلائه، والوَقْفُ على ﴿ ٱلۡحُوتِ ﴾؛ لأنَّ ﴿ إِذۡ ﴾ مفعول لفعل محذوف أي: اذكر ﴿ إِذۡ نَادَىٰ ﴾ دعا ربه في بطن الحوت بـ ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] ﴿ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾ مملوء غيظًا، مِنْ كَظَمَ السِّقَاءَ: إذا ملأه.

---

(١) وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[آل عمران: ١٧٨].

(٢) سورة الأنبياء. الآية: ٨٧.

﴿ لَوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ ﴾ رحمة ﴿ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي: لولا أنَّ اللَّه أنعم عليه بإجابة دعائه، وقبول عذره ﴿ لَنُبِذَ ﴾ من بطن الحوت ﴿ بِٱلْعَرَآءِ ﴾ بالفضاء ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ مُعاتَب، لكنَّه سبحانه أجاب دعاءه ورحمه فَنُبِذَ غير مذموم.

﴿ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ اصطفاه ﴿ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ من المستكملين لصفات الصلاح.

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ زَلَقَه وأَزْلَقه: أزاله عن مكانه أي: قارب الكفار من شدة نظرهم إليك بعيون العداوة أن يُزيلوك بأبصارهم عن مكانك، أو يهلكوك لشدة حقدهم عليك، وفي الحديث: «العين حق»[١]. وعن الحسن: «رقية العين هذه الآية». ﴿ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ القرآن ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ حسدًا على ما أُوتيتَ من النبوة ﴿ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ أي: يقولون: إنَّ محمدًا لمجنون؛ لتنفير الناس عنه.

﴿ وَمَا هُوَ ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ وعظ ﴿ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ للجن والإنس. والمعنى: أنَّهم نسبوه إلى الجنون لأجل القرآن، وما القرآن إلا موعظة للعالمين، فكيف يُنسب إلى الجنون مَنْ جاء بمثله!، أو ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ شرف ﴿ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: للإنس والجن، فكيف يُنسب إليه الجنون!، واللَّه أعلم.

---

(١) صحيح رواه أحمد وابن ماجه.



من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾ وعيد وتهديد، وحذف المفعول للتهويل.

- بين قوله تعالى تعالى: ﴿ضَلَّ﴾، ﴿بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿حَلَّافٍ﴾، ﴿هَمَّازٍ﴾، ﴿مَّشَّآءِۭ﴾، ﴿مَّنَّاعٍ﴾ صيغة مبالغة على وزن فعّال، وكذلك ﴿أَثِيمٍ﴾، ﴿زَنِيمٍ﴾ صيغة مبالغة على وزن فعيل.

- في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ استعارة؛ حيث استعار خرطوم الفيل لأنف الإنسان، للاستهانة والاستخفاف.

- في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ تشبيه مقلوب؛ ليكون أبلغ وأروع؛ لأنَّ الأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والثواب.

- في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ كناية عن شدة الهول يوم القيامة.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ القسم بالقلم وبالمكتوب إشارة إلى خطرهما، وعظيم أثرهما ونفعهما في ميادين العلم والمعرفة والتقدم والحضارة.

٢ـ نفي الجنون عن النبي ﷺ ورد زعم الكفار.

٣ـ الدنيا دار ابتلاء واختبار.



٤ـ على مَنْ حصد زرعًا أو جنى ثمرةً أن يُعطي منها مَنْ حضره.

٥ـ العزم مِمَّا يؤاخذ به الإنسان؛ لأنَّ أهل الجنة عزموا على أن يفعلوا، فعُوقبوا قبل فعلهم.

٦ـ الإنسان ضعيف القوة والتدبير والرأي لكنه إذا توكل على الله فإن الله يمنحه القوة والرشاد.

٧ـ اللَّه ينتقم من المجرمين.

٨ـ للمتقين في الآخرة جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص، لا يشوبه ما ينغّصه كما يشوب جنات الدنيا.

٩ـ لا تسوية في الجزاء الأُخروي بين المسلمين والكفار، أو بين الطائعين والعصاة.

١٠ـ اللَّه يمهل ولا يهمل، فهو سبحانه يمهل ويطيل المدة للظالمين والكفار، ثم يعاقبهم، فلا يفوته أحد، وعذاب اللَّه قوي شديد، وتدبيره محكم لا يمكن التفلت منه.

١١ـ الصبر على قضاء اللَّه وحكمه مطلوب شرعًا.

١٢ـ القرآن لا يتحمله إلا مَنْ كان أهلًا له من العقلاء، وهو شرف وتذكير وموعظة للعالمين.





الأسئلة

س١: ما المراد بـ ﴿نٓ﴾؟ ولمن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾؟ وما نوع (ما)؟ وما جواب القسم؟.

س٢: ما معنى ﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿بِمَن ضَلَّ﴾؟ و﴿بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾؟ وما معنى ﴿حَلَّافٖ﴾؟.

س٣: بم يتعلق قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ﴾؟ وما معنى ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾؟ وما الغرض من هذا (الوسم)؟.

س٤: ما معنى ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا﴾؟ وما إعراب ﴿مُصۡبِحِينَ﴾؟ وما معناه؟ وما المراد بالطائف؟.

س٥: علام يدل قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾؟ وما نوع السجود في قوله تعالى: ﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾؟.

س٦: ما معنى ﴿وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ﴾؟ وما موقعه الإعرابي؟ وما المراد بالحَرْد؟ ومتى قالوا ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؟ وما مفعول (ضالون)؟.

س٧: وصف القرآن الكريم الكفار بصفات ذميمة، اذكر هذه الصفات الواردة في السورة، مع توضيح معنى كل صفة؟.

س٨: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾؟ وما معنى الوسم؟ ولماذا خص الخرطوم بالذكر؟ ولماذا استخدم حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ دون إلى في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾؟.

س٩: استَدِل من السورة الكريمة على:

(أ) القرآن شرف وتذكير وموعظة للعالمين.

(ب) الدنيا دار ابتلاء واختبار.

س١٠: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊



سورة الحاقة
مكية وهي اثنتان وخمسون آية

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾

تفخيم شأن القيامة وعقاب المكذبين بها:

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها، من حقَّ يحِقُّ بالكسر، أي: وجب ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ مبتدأ وخبر، وهما خبر الحاقة، والأصل: الحاقة ما هي؟ أي: أي شيء هي؟ تفخيمًا لشأنها، وتعظيمًا لهولها، فوضع الظاهر موضع الضمير؛ لزيادة التهويل ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أي: وأيُّ شيء أعلمك ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ يعني: أنك لا علم لك بحقيقتها ومدى عظمتها؛ لأنها من العِظَم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين. و﴿وَمَآ﴾ مرفوع بالابتداء، و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ الخبر، وجملة ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ في موضع نصب؛ لأنها مفعول ثان لأدري ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ أي: بالحاقة، فوضعت القارعة موضعها؛ لأنها من أسماء القيامة، وسميت بها: لأنها تقرع الناس بالأفزاع والأهوال، ولمَّا ذكرها وفخَّمها، أتبع ذكر ذلك ذكر مَنْ كذب بها، وما حلَّ بهم بسبب التكذيب؛ تذكيرًا لأهل مكة، وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم فقال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة، واختلف فيها؛ فقيل: الرجفة، وقيل: الصيحة[1] ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ﴾ أي: بالدَّبُور: لقوله ﷺ: «نصرت بالصَّبا، أي: بالريح الشرقية وأُهلكت عاد بالدَّبُور»[2] أي: الريح الغربية ﴿صَرْصَرٍ﴾

---

(١) قوله (بالطاغية) صفة لموصوف محذوف فقديره: بالصيحة الطاغية، أو الصعقة الطاغية، أو الرجفة الطاغية.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

﴿ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ ﴾

شديدة الصوت، من الصَّرة: الصيحة، أو باردة من الصِّرِّ، كأنها التي كُرِّر فيها البرد وكثُر، فهي تحرق بشدة بردها ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ شديدة العَصْف، أو عتت على خُزَّانها، فلم يضبطوها بإذن اللَّه غضبًا على أعداء اللَّه[1] ﴿ سَخَّرَهَا ﴾ سَلَّطها ﴿ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾﴿ حُسُومًا ﴾ أي: متتابعة لا تنقطع، جمع حاسم، كشهود جمع شاهد؛ تمثيلًا لتتابعها بتتابع فِعْل الحاسم في إعادة الكَيِّ على الداء مرة بعد أخرى حتى يَنْحسم، وجاز أن يكون مصدرًا، أي: تحسم حسومًا بمعنى: تستأصل استئصالًا ﴿ فَتَرَى ﴾ أيها المخاطَب ﴿ ٱلْقَوْمَ فِيهَا ﴾ أي: في مهابِّها، أو في الليالي والأيام ﴿ صَرْعَىٰ ﴾ حال، جمع صَرِيع ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾ حال أخرى ﴿ أَعْجَازُ ﴾ أصول ﴿ نَخْلٍ ﴾ جمع نخلة ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾ ساقطة أو بالية ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ مِنْ نَفْسٍ باقية، أو من بقاء، كالطاغية بمعنى الطغيان ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ ﴾ ومَنْ تقدَّمه من الأمم، وقرأ أبو عمرو ويعقوب والكسائي (ومَن قِبَلَهُ)، أي: ومَنْ عنده من أتباعه ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ ﴾ قرى قوم لوط، فهي ائتفكت، أي: انقلبت بهم ﴿ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾ بالخطأ، أو بالفعلة، أو بالأفعال ذات الخطأ العظيم ﴿ فَعَصَوْا۟ ﴾ أي: قوم لوط ﴿ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ لوطا ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ أي: شديدة زائدة في الشدة، كما زادت قبائحهم في القبح ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾ أي: ارتفع الطوفان ﴿ حَمَلْنَٰكُمْ ﴾ أي: حملنا آباءكم ﴿ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ أي: في

---

(١) وابتدأ الحق سبحانه بذكر ما أصاب هاتين القبيلتين لأنها أكثر القبائل المكذبة، ولمعرفة مشركى مكه بهما، ومساكنهما كانتا فى شمال وجنوب الجزيرة العربية.

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا ﴾

سفينة نوح عليه السلام ﴿ لِنَجْعَلَهَا ﴾ أي: الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين ﴿ لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ عبرة وعظة ﴿ وَتَعِيَهَآ ﴾ وتحفظها ﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ حافظة لما تسمع، قال قتادة: هي أذن عقلت عن الله، وانتفعت بما سمعت.

من مشاهد القيامة:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ هي النفخة الأولى ويموت عندها الناس، والثانية يُبعثون عندها ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ رفعتا عن موضعهما ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ كسرتا، أي: ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبًا مهيلًا وهباءً منبثًا ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ فحينئذ ﴿ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ نزلت النازلة، وهي القيامة، وجواب ﴿ إِذَا ﴾: ﴿ وَقَعَتِ ﴾، و﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بدل من (إذا)، ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ فُتّحت أبوابًا ﴿ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة ﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ (ال) فيه للجنس بمعنى الجمع، وهو أعمُّ من الملائكة ﴿ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ جوانبها، مفردها: رجا؛ لأنها إذا انشقت وهي مسكن الملائكة، فيلجأون إلى أطرافها ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ﴾ فوق الملك الذين على أرجائها ﴿ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ منهم، واليوم تحمله أربعة، وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة، وعن الضحاك: ثمانية صفوف، وقيل: ثمانية أصناف ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ للحساب والسؤال ﴿ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ سريرة كانت تخفى في الدنيا ﴿ فَأَمَّا ﴾ تفصيل للعرض

﴿مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦﴾

﴿مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ سرورًا به لِمَا يرى فيه من الخيرات خطابًا لجماعته ﴿هَآؤُمُ﴾ اسم فعل، أي: خُذُوا ﴿ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ تقديره: هاؤم كتابي اقرءوا كتابيه، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، والعامل في ﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾: ﴿ٱقۡرَءُواْ﴾ عند البصريين؛ لأنهم يُعْمِلون الأقرب، والهاء في ﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾ و﴿حِسَابِيَهۡ﴾ و﴿مَالِيَهۡ﴾ و﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾: للسكت، وحقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، وقد استحب إيثار الوقف؛ لثبوتها في المصحف ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ علمت، وإنما أجرى الظن مجرى العلم؛ لأن الظنَّ يقوم مقام العلم في العادات والأحكام، ولأن ما يدرك بالاجتهاد قلَّما يخلو عن الوسواس والخواطر، وهي تفضي إلى الظنون، فجاز إطلاق لفظ الظن عليه ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ معاين حسابي ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ ذات رضا يرضى بها صاحبها ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾ رفيعة المكان، أو رفيعة الدرجات، أو رفيعة المباني والقصور، وهو خبر بعد خبر ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾ ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ، يقال لهم ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ أكلًا وشربًا هنيئًا لا مكروه فيهما ولا أذى، أو هنئتم هنيئًا على المصدر ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ بما قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ الماضية من أيام الدنيا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي في الصائمين، أي: كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ لما يرى فيه من الفضائح ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾

﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾

أي: يا ليتني لم أعلم ما حسابي ﴿ يَٰلَيۡتَهَا ﴾ أي: يا ليت الموتة التي متُّها ﴿ كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴾ أي: القاطعة لأمري فلم أُبعث بعدها، ولم ألق ما ألقى ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴾ أي: لم ينفعني ما جمعته في الدنيا، فـ﴿ مَآ ﴾ نافية، والمفعول محذوف، أي: شيئًا ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ مُلكي وتَسَلُّطي على الناس وبقيت فقيرًا ذليلًا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ضلَّت عنِّي حجتي، أي: بطلت حجتي التي كنت أحتجُّ بها في الدنيا؛ فيقول اللَّه تعالى لخزنة جهنم: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ أي: اجمعوا يديه إلى عنقه ﴿ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ أي: أدخلوه الجحيم، وهي النار العظمى، أو نُصب الجحيم بفعل محذوف يفسره قوله ﴿ صَلُّوهُ ﴾ ﴿ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا ﴾ طولها ﴿ سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا ﴾ لا يعرف قدرها إلا اللَّه ﴿ فَٱسۡلُكُوهُ ﴾ فأدخلوه، والمعنى في تقديم السلسلة على السَّلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ تعليل، كأنه قيل: ماله يُعذَّب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بأنه ﴿ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ على بَذْل طعام المسكين، وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث؛ لأن الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم، وإنما يطعمونهم لوجه اللَّه ورجاء الثواب في الآخرة، فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على إطعامهم، أي: أنه مع كفره لا يحرض غيره على إطعام المحتاجين، وفيه دليل قوي على عظم جُرْم حرمان المسكين؛ لأنه عطفه على الكفر، وجعله دليلًا عليه، وقرينة له، لأنه ذكر الحضَّ دون الفعل؛ ليعلم أن تارك الحضِّ إذا كان

﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

بهذه المنزلة، فتارك الفعل أَحَقّ. وعن أبي الدرداء: رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يحضُّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: «خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، فنخلع نصفها بهذا». وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعًا والكافرين لا يرحمون؛ لأنه قسّم الخلق نصفين، فجعل صنفًا منهم أهل اليمين، ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾، وصنفًا منهم أهل الشمال، ووصفهم بالكفر بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وجاز أن الذي يُعَاقَب من المؤمنين إنما يُعاقَب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴾ قريب يدفع عنه ويحترق له قلبه ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ أي: غسالة أهل النار، وأريد به هنا: ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم ﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ أي: الكافرون أصحاب الخطايا.

تأكيد صدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ من الأجسام والأرض والسماء ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ من الملائكة والأرواح، فالحاصل أنه أقسم بجميع الأشياء ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: إن القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي: يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ ﴾ كما تدَّعون ﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ ﴾ كما تقولون ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ والقلَّة في معنى العدم، يقال: هذه

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٥٢) ﴾

أرض قلَّما تنبت، أي: لا تنبت أصلًا، والمعنى: لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة ﴿ تَنزِيلٌ ﴾ أي: هو تنزيل، بيانًا؛ لأنه قول رسول نزل عليه ﴿ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ ولو ادَّعى علينا شيئًا لم نقله ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ لقتلناه صبرًا، كما يفعل الملوك بمَنْ يتكذَّب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام، فصور قَتْل الصبر بصورته ليكون أَهْوَل، وهو أن يأخذ بيده وتضرب رقبته، وخص اليمين؛ لأن القتّال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في عنقه ـ وهو أشدُّ على المصبور لنظره إلى السيف ـ أخذ بيمينه، ومعنى ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ لأخذنا بيمينه وكذا ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ لقطعنا وَتِينه وهو حبل الوريد إذا قُطع مات صاحبه ﴿ فَمَا مِنكُم ﴾ الخطاب للناس أو للمسلمين ﴿ مِّنْ أَحَدٍ ﴾ من زائدة[1] ﴿ عَنْهُ ﴾ عن قتل محمد، وَجَمَعَ ﴿ حَٰجِزِينَ ﴾ وإن كان وَصْفَ ﴿ أَحَدٍ ﴾ لأنه في معنى الجماعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[2].

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: وإن القرآن ﴿ لَتَذْكِرَةٌ ﴾ لعظة ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: وإن القرآن ﴿ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: الكافرين به، المكذبين له، إذا رأوا ثواب المصدقين به ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: وإن القرآن ﴿ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ لعين اليقين ومحض اليقين ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ فسبح اللَّه بذكر اسمه العظيم، وهو قوله: سبحان اللَّه.

---

(١) المراد زيادة إعراب لا زيادة معنى لأن كل حرف فى كتاب الله له معنى علمه من علمه وجهله من جهله.
(٢) سورة البقرة. الآية: ٢٨٥.



مِنْ الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ شَبَّهَ تتابع الريح على قوم عاد بتتابع فِعْل الحاسم في إعادة الكي على الداء مرة بعد أخرى حتى ينحسم.
- في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تشبيه مرسل مجمل حيث ذُكرت الأداة وحُذف وجه الشبه.
- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ استعارة تبعية؛ لأن الطغيان صفة من صفات الإنسان، فشبه ارتفاع الماء بطغيان الإنسان على الإنسان بطريق الاستعارة.
- في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ شبَّه عَرْض الآخرة بعرض السلطان العسكر؛ لتعرُّف أحواله.
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾. ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ تقديم الجحيم على التصلية وكذلك تقديم السلسلة على السلك للتخصيص.
- في قوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ اليمين كناية عن القوة والقدرة.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ تفخيم شأن القيامة، وتعظيم أمرها، والتخويف من أهوالها.

٢ـ وجوب الاتّعاظ والاعتبار بمصير الأمم السابقة التي كذبت رسلها.

٣ـ في يوم القيامة الرهيب يعرض العباد على اللَّه للحساب والجزاء.



٤ـ أخذ الكتاب باليمين دليل على النجاة.

٥ـ الناجي في جنة عالية، أي عظيمة في النفوس، ثمارها قريبة التناول، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

٦ـ الشقي في جحيم، وقد سلسل في سلسلة لا يعلم قدرها إلا اللَّه، ويصير طعامه ما يسيل من أبدان أهل النار.

٧ـ سبب الفوز بالجنة للمؤمنين السعداء: الإيمان والأعمال الصالحة في الدنيا، وسبب العذاب والوعيد الشديد للأشقياء: عدم الإيمان بالله العظيم وعدم بذل المال للمساكين.

٨ـ عظم جُرْم حرمان المساكين.

٩ـ القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين.

❊ ❊ ❊



الأسئلة

س١: ما المراد بالحاقة؟ وما إعراب ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؟ ولم وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؟ وما إعرابه؟ وما المراد بالقارعة؟

س٢: ما معنى ﴿عَاتِيَةٖ﴾؟ وما معنى ﴿سَخَّرَهَا﴾؟ وما معنى ﴿حُسُومٗا﴾؟ وما السر البلاغي هنا؟ ولمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى﴾؟ وإلام يعود الضمير في قوله تعالى ﴿ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا﴾؟ وما إعراب ﴿صَرۡعَىٰ﴾؟

س٣: ما المؤتفكات؟ ولم سميت بذلك؟ وما معنى بالخاطئة؟ ومن المقصود بقوله تعالى: ﴿رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾؟ وما معنى ﴿رَّابِيَةً﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾؟ وما السر البلاغي فيه؟

س٤: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾؟ وما معنى ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾؟ وأين جواب (إِذَا)؟ وما إعراب ﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾؟ وما معنى ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾؟

س٥: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾؟ وما نوع «ال» في قوله تعالى ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾؟ وما معنى ﴿أَرۡجَآئِهَاۚ﴾؟ وما مفرده؟ ولماذا تكون الملائكة حينئذ على أرجائها؟ ولمن الضمير في قوله تعالى: ﴿فَوۡقَهُمۡ﴾؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةٞ﴾؟

س٦: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾؟

س٧: اشرح بإيجاز قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴾.

س٨: صورت السورة مشاهد القيامة، وبينت أن الناس حينئذٍ صنفان، بين ذلك.

س٩: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊

سورة المعارج
مكية وهي أربع وأربعون آية

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾

عناد المشركين وجزاؤهم:

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ هو النضر بن الحارث، قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[1] ولَمَّا ضُمِّن ﴿سَأَلَ﴾ معنى دعا، عُدِّي تعديته كأنه قيل: دعا داع ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ من قولك: دعا بكذا، إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾[2] ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ صفة لعذاب، أي: بعذاب واقع كائن للكافرين ﴿لَيۡسَ لَهُۥ﴾ لذلك العذاب ﴿دَافِعٞ﴾ رادّ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متصل بواقع، أي: واقع من عنده، أو بدافع، أي: ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ أي: مصاعد السماء للملائكة، جمع مَعْرَج، وهو موضع العروج. ثم وصف المصاعد وبُعْدَ مداها في العلو والارتفاع فقال: ﴿تَعۡرُجُ﴾ تصعد ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جبريل عليه السلام، خصَّه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه، أو خَلْق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا، أو أرواح المؤمنين عند الموت ﴿إِلَيۡهِ﴾ إلى عرشه ومهبط أمره ﴿فِي يَوۡمٖ﴾ صلة لتعرج ﴿كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾

---

(١) سورة الأنفال. الآية: ٣٢.
(٢) سورة الدخان. الآية: ٥٥.

﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ ﴾

من سِنيِّ الدنيا لو صعد فيه غير الملك، أو من صلة واقع، أي: يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيّكم وهو يوم القيامة، فإما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار، أو لأنه على الحقيقة كذلك، فقد قيل: فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة، وما قَدْر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظُّهر والعصر ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ متعلق بـ ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ ﴾؛ لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول اللَّه ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول اللَّه ﷺ؛ فأُمر بالصبر عليه ﴿ صَبۡرًا جَمِيلًا ﴾ أي: بلا جزع ولا شكوى ﴿ إِنَّهُمۡ ﴾ إن الكفار ﴿ يَرَوۡنَهُۥ ﴾ أي العذاب، أو يوم القيامة ﴿ بَعِيدًا ﴾ مستحيلًا ﴿ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ كائنًا لا محالة، فالمراد بالبعيد: البعيد من الإمكان وبالقريب: القريب منه، نصب ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ بـ ﴿ قَرِيبًا ﴾، أي يمكن في ذلك اليوم، أو هو بدل من ﴿ فِي يَوۡمٖ ﴾ فيمن علقه بـ ﴿ وَاقِعٖ ﴾ ﴿ كَٱلۡمُهۡلِ ﴾ كدَرْديّ الزيت [ما يكون في قعر إناء الزيت المستعمل لمدة طويلة] أو كالفضة المذابة في تلونها ﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴾ كالصوف المصبوغ ألـوانًا؛ لأن الجبال ﴿ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾[1] فإذا بُسَّت وطُيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طَيَّرَتْه الريح ﴿ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه. ﴿ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ ﴾ صفة، أي: حميمًا مبصَّرين معرَّفين إياهم، أو مستأنف، كأنه لما قال: ﴿ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ قيل: لعله لا يبصره، فقيل: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ ﴾ ولكنهم

(١) سورة فاطر. الآية: ٢٧.

﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۢ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم؛ والواو ضمير الحميم الأول، وهم ضمير الحميم الثاني، أي يبصَّر الأحماءُ الأحماءَ فلا يخفون عليهم، وإنما جمع الضميران[1] وهما للحميمين؛ لأن فعيلًا يقع موقع الجمع ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ يتمنى المشرك، وهو مستأنف، أو حال من الضمير المرفوع، أو المنصوب من ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾. ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۢ بِبَنِيهِ﴾. ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ وزوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وعشيرته الأقربين ﴿ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ﴾ تَضُمُّه انتماء إليها ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ من الناس ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الافتداء، عطف على ﴿يَفۡتَدِي﴾ ﴿كَلَّآۖ﴾ ردع للمجرم عن الوِدادة[2]، وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء، ولا ينجيه من العذاب ﴿إِنَّهَا﴾ إنّ النار، ودل ذكر العذاب عليها، أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر، أو ضمير القصة ﴿لَظَىٰ﴾ علم على النار ﴿نَزَّاعَةٗ﴾ قرأ حفص والمفضّل بالنصب على الحال المؤكدة، أو على الاختصاص للتهويل، وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لـ: «إن»، أو على تقدير: هي نزاعة ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين، أو جمع: شَوَاة، وهي جلدة الرأس تنزعها نزعًا فتفرقها، ثم تعود إلى ما كانت ﴿تَدۡعُواْ﴾ بأسمائهم: يا كافر! يا منافق! إليّ إليّ، أو: تهلك، من قولهم: دعاك اللَّه، أي أهلكك، أو لما كان مصيره إليها جُعلت كأنها دعته ﴿مَنۡ أَدۡبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوۡعَىٰٓ﴾ فجعله في وعاء ولم يؤد حق اللَّه منه.

---

(١) أي في قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾.
(٢) الودادة: بفتح الواو وكسرها.

﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾

طَبْع الإنسان وبيان صفات المؤمنين وجزائهم:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ أريد به الجنس؛ ليصح استثناء المصلِّين منه ﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره ما بعده ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ والهَلَع: سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير. وسأل محمد بن عبد اللَّه بن طاهر ثعلبًا عن الهَلع؛ فقال: قد فسره اللَّه تعالى، ولا يكون تفسير أبْيَن من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس، وهذا طبعه، وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه. والشر: الضر والفقر، والخير: السعة والغنى، أو: المرض والصحة ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ ﴾ أي: على صلواتهم الخمس ﴿ دَآئِمُونَ ﴾ أي: يحافظون عليها في مواقيتها. عن ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ يعني: الزكاة؛ لأنها مقدرة معلومة، أو صدقة يقررها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة ﴿ لِّلسَّآئِلِ ﴾ الذي يسأل ﴿ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ الذي يتعفَّف عن السؤال فيحسب غنيًّا فَيُحْرم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي: يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ خائفون. واعترض بقوله ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أي: لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه، وينبغي أن يكون متأرجحًا بين الخوف والرجاء

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾ نسائهم ﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ أي: إمائهم ﴿ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ على ترك الحفظ ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ ﴾ طلب منكحًا ﴿ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي غير الزوجات والمملوكات ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام. وهذه الآية تدل على حرمة المتعة، ووطء الذكران والبهائم، والاستمناء باليد[1] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ ﴾ أي: أمانات الشرع وأمانات العباد ﴿ وَعَهۡدِهِمۡ ﴾ أي: عهودهم، ويدخل فيها: عهود الخلق، والنذور، والأيمان ﴿ رَٰعُونَ ﴾ حافظون غير خائنين ولا ناقضين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴾ أي: يقيمونها عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف، وترجيح للقوي على الضعيف؛ إظهارًا للصلابة في الدين، ورغبة في إحياء حقوق المسلمين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ كرر ذكر الصلاة؛ لبيان أنها أهمّ، أو لأن إحداهما للفرائض والأخرى للنوافل، وقيل: الدوام عليها: الاستكثار منها، والمحافظة عليها: أن لا تضيع عن مواقيتها، أو الدوام عليها: أداؤها في أوقاتها، والمحافظة عليها: حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أصحاب هذه الصفات ﴿ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾ هما خبران.

من أحوال الكفار:

﴿ فَمَالِ ﴾ كتب مفصولًا اتباعًا لمصحف عثمان رضي الله عنه ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ ﴾ نحوك

---

(١) وكل إفراغ متعمد للشهوة بغير طريق الزواج المشروع، وإذا حرم ذلك فكل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام.

﴿ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا ﴾

معمول ﴿ مُهۡطِعِينَ ﴾ أي: مسرعين. حال من ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ عن يمين النبي ﷺ وعن شماله ﴿ عِزِينَ ﴾ حال. أي: فرقًا شتى. جمع: عِزَة، وأصلها: عِزوة، كأن كل فرقة تعتزي إلى غيرِ مَنْ تعتزي إليه الأخرى، فهم مفترقون. كان المشركون يحتفّون حول النبي ﷺ حِلَقا حِلَقا، وفِرَقا فِرَقا، يستمعون ويستهزئون بكلامه، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم؛ فنزلت: ﴿ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴾ كالمؤمنين [ذكره الواحدي بدون إسناد] ﴿ كَلَّآۖ ﴾ ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: من النطفة المَذِرة، ولذلك أُبْهِم إشعارًا بأنه منصب يُسْتَحْيَا من ذكره. فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم، ويقولون: لندخلن الجنة قبلهم؟ أو معناه: إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم، ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان، فَلِمَ يطمع أن يدخلها مَنْ لا إيمان له؟ ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾ مطالع الشمس ﴿ وَٱلۡمَغَٰرِبِ ﴾ ومغاربها ﴿ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم وأطوع لله ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾ بعاجزين ﴿ فَذَرۡهُمۡ ﴾ فدع المكذبين ﴿ يَخُوضُواْ ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلۡعَبُواْ ﴾ في دنياهم ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ فيه العذاب ﴿ يَوۡمَ ﴾ بدل من ﴿ يَوۡمَهُمُ ﴾ ﴿ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ ﴾ القبور ﴿ سِرَاعٗا ﴾ جمع: سريع. حال. أي:

إلى الداعي ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حال ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ هو كل ما نصب وعبد من دون اللَّه ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون ﴿خَٰشِعَةً﴾ حال من ضمير ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعني: لا يرفعونها لذلتهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم هوان ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا، وهم يكذِّبون به.

مِنْ الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ذكر الخاص بعد العام تنبيهًا لفضله وتشريفًا له.
- في قوله تعالى: ﴿بَعِيدًا﴾ و﴿قَرِيبًا﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿ٱلشِّمَالِ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلْمَشْرِقِ﴾ و﴿ٱلْمَغْرِبِ﴾ طباق.
- في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ تشبيه مرسل لحذف وجه الشبه وهو التلون.
- في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ تشبيه مرسل لحذف وجه الشبه وهو التطاير.
- في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ...﴾ عموم بعد خصوص لبيان هول الموقف.
- في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ مقابلة لطيفة.

- في قوله تعالى: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ استفهام إنكاري للتقريع والتوبيخ.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ عذاب اللَّه واقع حتمًا بالكفار في الآخرة، لا يدفعه عنهم أحد.

٢ـ التحلِّي بالصبر الجميل، وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير اللَّه.

٣ـ مَنْ أدبر عن الطاعة وأعرض عن الإيمان وجمع المال ولم يُؤدِّ حقَّ اللَّه فيه كان أهلًا لجهنم التي تتلظى نيرانها.

٤ـ أداء الصلوات الخمس في أوقاتها والمواظبة على ذلك.

٥ـ أداء الزكاة والواجبات المالية.

٦ـ لا ينبغي لأحدٍ وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمن عذاب اللَّه، وينبغي أن يكون متأرجحًا بين الخوف والرجاء.

٧ـ العفة والبعد عن الفاحشة.

٨ـ حرمة نكاح المتعة، واللواط، ووطء البهائم، والاستمناء باليد.

٩ـ أداء الشهادة بحق بلا ميل إلى قريب وشريف، وبلا ترجيح للقوي على الضعيف، إظهارًا للصلابة في الدين، ورغبة في إحياء حقوق المسلمين.

١٠ـ الجنة لمن آمن وعمل صالحًا ونال رحمة اللَّه، ولا فضل للكفار يستوجبون به جنة اللَّه.

الأسئلة

س١ : من السائل في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾؟ وماذا سأل؟ ولم عُدي الفعل ﴿سَأَلَ﴾بالباء؟ وما معنى ﴿دَافِعٌ﴾؟ وبم يتصل ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾؟ وما المعنى؟ وما المراد بالمعارج؟ وما مفرده؟ وما معنى المفرد؟ وما المراد بالروح هنا؟ ولم خصه بالذكر؟

س٢ : إلام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ﴾؟ وبم يتصل ﴿فِي يَوۡمٍ﴾؟ وما المعنى؟ وهل العدد ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ حقيقي أم مجازي؟ وبم تعلق ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾؟ ولماذا؟ وما الصبر الجميل؟

س٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا﴾. ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾؟ وبم نصب ﴿يَوۡمَ﴾؟ وما المهل؟ وما السر البلاغي في الآية؟.

س٤ : ما المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾؟ وما الهلع؟ وما المراد بالشر والخير هنا؟ وما معنى ﴿دَآئِمُونَ﴾؟ وما الحق المعلوم؟ وما المراد بالسائل والمحروم؟ وما معنى ﴿مُّشۡفِقُونَ﴾؟

س٥ : ما معنى «قِبَلَكَ»؟ وما معنى «مُهۡطِعِينَ»؟ وما إعرابه؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾؟ وما مفرد ﴿عِزِينَ﴾ ؟ وما سبب نزول الآيتين؟

س٦ : ما السر البلاغي في ذكر الروح بعد الملائكة مع أنه من جنسها؟

س٧: ما المستفاد من السورة الكريمة؟.

سورة (نوح) عليه السلام

مكية وهي ثمان وعشرون آية

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

إرسال (نوح) عليه السلام إلى قومه:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾ خوِّف. أصله: بأن أنذر، فحُذف الجار وأوصل الفعل، ومحله عند الخليل: جر، وعند غيره: نصب، أو: «أَنْ» مفسرة[١] بمعنى أي؛ لأن في الإرسال معنى القول ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذاب الآخرة أو الطوفان ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ أضافهم إلى نفسه: إظهارًا للشفقة ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ مخوف ﴿مُّبِينٌ﴾ أبين لكم رسالة اللَّه بلغة تعرفونها ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدُوه. و«أن» هذه نحو ﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ في الوجهين ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ واحذروا عصيانه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه، وإنما أضافه إلى نفسه؛ لأن الطاعة قد تكون لغير اللَّه تعالى بخلاف العبادة ﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾ جواب الأمر ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِّن﴾ هنا: للبيان، كقوله ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[٢]، أو للتبعيض؛ لأن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره[٣] ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت موتكم ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ أي: الموت ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كنتم

---

(١) بكسر السين المشددة
(٢) سورة الحج. الآية: ٣٠
(٣) وهذه مسألة خلافيه والراجح أن الإسلام يجب ما قبله.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ﴾

تعلمون ما يحلُّ بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم. وقيل: إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام، فكأنه عليه السلام أمّنهم من ذلك ووعدهم أنهم بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا، أي: إنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من عدوكم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ دائبا بلا فتور ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ عن طاعتك، ونسب ذلك إلى دعائه لحصول الفرار عنده، وإن لم يكن الدعاء سببًا للفرار في الحقيقة، وهو كقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[1] والقرآن لا يكون سببًا لزيادة الرجس. وكان الرجل يذهب بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول: احذر هذا، فلا يغرنك، فإن أبي قد وصاني به ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ﴾ إلى الإيمان بك ﴿ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أي: ليؤمنوا فتغفر لهم، فاكتفى بذكر المسبب ﴿ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ سدُّوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامي ﴿ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ ﴾ وتغطوا بثيابهم لئلا يبصروني كراهة النظر إلى وجه مَنْ ينصحهم في دين اللَّه ﴿ وَأَصَرُّوا۟ ﴾ وأقاموا على كفرهم ﴿ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ وتعظموا عن إجابتي، وذِكْرُ المصدر دليل على فرط استكبارهم ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ مصدر في موضع الحال. أي: مجاهرًا، أو مصدر: دعوتهم، كقعد القُرْفُصاء؛ لأن الجهار أحد نوعي الدعاء يعني أظهرت

---

(١) سورة التوبة. الآية: ١٢٧.

﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّـٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ ﴾

لهم الدعوة في المحافل ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ أي: خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر. فالحاصل: أنه دعاهم ليلًا ونهارًا في السِّر، ثم دعاهم جهارًا، ثم دعاهم في السر والعلن. وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالأهون، ثم بالأشدِّ فالأشدُّ. فافتتح بالمناصحة في السر، فلمَّا لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة، فلمَّا لم تُؤَثِّر ثَلَّثَ بالجمع بين الإسرار والإعلان. و«ثمَّ» تدل على تباعد الأحوال؛ لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما.

من فوائد الاستغفار:

﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ من الشرك؛ لأن الاستغفار: طلب المغفرة، فإن كان المستغفر كافرًا فهو من الكفر، وإن كان عاصيًا مؤمنًا فهو من الذنوب ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾ لم يزل غفارًا لذنوب من ينيب إليه ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ ﴾ المطر ﴿ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾ كثيرة الدرور[1]، ومِفْعَال يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ﴾ يزدكم أموالًا وبنين ﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّـٰتٖ ﴾ بساتين ﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾ جارية لمزارعكم وبساتينكم، وكانوا يحبون الأموال والأولاد؛ فحرّكوا بهذا على الإيمان. وعن عمر -رضي اللَّه تعالى عنه-: أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار؛ فقيل له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد استسقيت بمجاديح[2] السماء التي يستنزل به المطر. شَبَّه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا

---

(١) كثرة نزول المطر.
(٢) وفي المعجم المجدح خشبة في رأسها خشبتان معترضتان يساط بها الشراب، جمعها: مجاديح.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾

تخطئ، وقرأ الآيات. وعن الحسن: أن رجلًا شكا إليه الجدب؛ فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه؛ فأمرهم كلهم بالاستغفار؛ فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أبوابًا فأمرتهم كلهم بالاستغفار؛ فتلا الآيات ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ لا تخافون لله عظمة ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ في موضع الحال، أي: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه، وهي حال موجبة للإيمان به؛ لأنه خلقكم أطوارًا، أي: تارات وكرّاتٍ، خلقكم أولًا نطفًا ثم خلقكم علقًا، ثم خلقكم مضغًا، ثم خلقكم عظامًا ولحمًا. نبّههم أولًا على النظر في أنفسهم؛ لأنها أقرب، ثم على النظر في العالم وما سوّى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ بعضًا على بعض ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ أي: في السموات، وهو في السماء الدنيا؛ لأن بين السماوات ملابسة من حيث إنها طباق، فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن، كما يقال في المدينة كذا، وهو في بعض نواحيها ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ مصباحًا يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي: أنشأكم. استعير الإنبات للإنشاء ﴿ نَبَاتًا ﴾ فنبتّم نباتًا ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ بعد الموت ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ إِخْرَاجًا ﴾ أكده

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾

بالمصدر أي: أيُّ إخراج ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ مبسوطة ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا ﴾ لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ﴿ سُبُلًا ﴾ طرقًا ﴿ فِجَاجًا ﴾ واسعة أو مختلفة.

عصيان قوم نوح وهلاكهم:

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ﴾ فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ ﴾ أي: الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد ﴿ إِلَّا خَسَارًا ﴾ في الآخرة ﴿ وَمَكَرُوا۟ ﴾ معطوف على: ﴿ لَّمْ يَزِدْهُ ﴾. وجمع الضمير وهو راجع إلى «من»؛ لأنه في معنى الجمع. والماكرون: هم الرؤساء، ومكرهم: احتيالهم في الدين، وكيدهم لنوح، وتحريض الناس على أذاه، وصدهم عن الميل إليه ﴿ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ أي: عظيمًا ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي: الرؤساء لسفلتهم ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ على العموم. أي: عبادتها ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ﴾ هو صنم على صورة رجل ﴿ وَلَا سُوَاعًا ﴾ هو على صورة امرأة ﴿ وَلَا يَغُوثَ ﴾ هو على صورة أسد ﴿ وَيَعُوقَ ﴾ هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيين، وللتعريف والعجمة إن كانا أعجميين ﴿ وَنَسْرًا ﴾ هو على صورة نسر. أي: هذه الأصنام الخمسة على الخصوص، وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فخصوها بعد العموم. وقيل: هي أسماء رجال صالحين كان

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ ﴾

الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح، فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة، فلما طال الزمان، قال لهم إبليس: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ ﴾ أي: الأصنام، كقوله: ﴿ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ ﴾[1] ﴿ كَثِيرًا ۖ ﴾ من الناس أو الرؤساء ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ عطف على ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ﴾ على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد ﴿ قَالَ ﴾ وبعد الواو النائبة عنه، ومعناه: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ﴾ وقال ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: قال هذين القولين. وهما في محل النصب؛ لأنهما مفعولا ﴿ قَالَ ﴾ ﴿ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ أي: هلاكا، كقوله: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[2] ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ ﴾ أي: ذنوبهم ﴿ أُغْرِقُوا۟ ﴾ بالطوفان ﴿ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ عظيمة. وتقديم ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ ﴾ لبيان أنه لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم في النيران إلا من أجل خطيئاتهم. وأكد هذا المعنى بزيادة «ما». وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا؛ فإن كُفْرَ قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كُبرَاهُن. والفاء في ﴿ فَأُدْخِلُوا۟ ﴾ للإعلام بأنهم عذِّبوا بالإحراق عقيب الإغراق، فيكون دليلًا على إثبات عذاب القبر ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب اللَّه ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ أي: أحدًا يدور في الأرض ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ ﴾ ولا تهلكهم

---

(١) سورة إبراهيم. الآية: ٣٦.

(٢) سورة نوح. الآية: ٢٨.

﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ يدعوهم إلى الضلال ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ إلا من إذا بلغ فجر وكفر. وإنما قال ذلك لأن اللَّه تعالى أخبره بقوله: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[1] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مسلمين. وقيل: هما آدم وحواء ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿مُؤْمِنًا﴾؛ لأنه علم أن مَنْ دخل بيته مؤمنًا لا يعود إلى الكفر ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة. خصَّ أولًا مَنْ يتصل به؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارًۢا﴾ هلاكًا.

من الأسرار البلاغية:

ـ بين قوله تعالى: ﴿أَعْلَنتُ﴾ و﴿وَأَسْرَرْتُ﴾، وقوله ﴿جِهَارًا﴾ و﴿إِسْرَارًا﴾، وقوله ﴿لَيْلًا﴾ و﴿وَنَهَارًا﴾، وقوله ﴿يُعِيدُكُمْ﴾ و﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ طباق.

ـ في قوله تعالى: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ مجاز مرسل إذ المراد رؤوس الأصابع، فهو من إطلاق الكل وإرادة البعض.

ـ في قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ مجاز مرسل إذ المراد بالسماء هنا المطر، وعلاقته المحلية؛ لأن المطر ينزل من السماء.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ استعارة تبعية شبه إنشاءهم بالنبات الذي تخرجه الأرض، واشتق من لفظ النبات ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ على طريق الاستعارة التبعية.

---

(١) سورة هود. الآية: ٣٦.

- ذكر المصدر للتأكيد في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾، و﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ و﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾.

- ذكر الخاص قبل العام في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ حتمية الموت وأنه واقع لا محالة.

٢ـ مكث نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له طوال ألف سنة إلا خمسين عاما.

٣ـ الاشتغال بطاعة اللَّه وكثرة الاستغفار سبب في زيادة البركة والنماء، وانفتاح أبواب الخيرات، وإدرار الأمطار، وزيادة الغلال، ووفرة الثمار.

٤ـ إقامة الأدلة على وجود اللَّه وتوحيده وقدرته وعظمته بالنظر في النفس البشرية، والعالم العلوي من السمَوات والشموس والأقمار، والعالم السفلي من التذكير بكنوز الأرض وخيراتها من معادن ونباتات وحيوانات.

٥ـ خطايا وذنوب قوم نوح هي السبب في الإغراق بالطوفان ودخول نار جهنم بعد إغراقهم، فلم يجدوا حينئذ أحدًا يمنعهم من عذاب اللَّه.

***

الأسئلة

س١ : ما معنى ﴿أَنْ أَنذِرْ﴾؟ وما المراد بالعذاب الأليم؟ ولم أضافهم إلى نفسه في قوله ﴿يَٰقَوْمِ﴾؟ وما معنى ﴿مُّبِينٌ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾؟.

س٢: ما معنى ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ﴾؟ ولماذا؟ وما معنى ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾؟ وما البلاغة فيه؟ وما معنى ﴿مِّدْرَارًا﴾؟ ولم عبر عن المؤنث بالمذكر؟ وما معنى ﴿جَنَّٰتٍ﴾؟ اذكر فوائد الاستغفار، وما معنى ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾؟ ولماذا نسب الفرار إلى دعاء نوح عليه السلام؟

س٣: ما معنى ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؟ ومن الذين ﴿ٱتَّبَعُواْ﴾؟ ومن المراد بـ ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾؟ ولم جمع الضمير في ﴿وَمَكَرُواْ﴾؟ ومن الماكرون؟ وما مكرهم؟ وما معنى ﴿كُبَّارًا﴾؟

س٤ : ما المراد بقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾؟ وما إعرابه؟ وما معنى ﴿ضَلَٰلًا﴾؟ وما معنى ﴿خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾؟ وبم أغرقوا؟ ولم قدم ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾؟ وما الذي تشير إليه الآية؟

س٥ : لماذا دعا نبي اللَّه نوح على قومه بالهلاك؟ وما الدليل؟

س٦ : من المقصود بقوله ﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾؟ وما المراد بقوله ﴿بَيْتِىَ﴾؟ وما الحكمة من ترتيب المدعو لهم؟ وما معنى ﴿تَبَارًا﴾؟

س٧: ما السر البلاغي في قوله ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؟

س٨: ما المستفاد من السورة الكريمة؟

سورة (الجن)
(مكيَّة وهي: ثمان وعشرون آية)

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾

إيمان الجنِّ بالقرآن:

﴿قُلْ﴾ يا محمَّد لأُمَّتك ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ أنَّ الأمر والشأن ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ جماعةٌ من الثلاثة إلى العشرة ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾ جِنّ نَصِيبين، [وهي مدينة تقع شمال بلاد الشام، اجتمع وفد منها بالنبي ﷺ، وقرأ عليهم القرآن]، ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبي ﷺ في صلاة الفجر: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ عجيبًا، بديعًا، يختلف عن سائر الكتب في حسن نظمه، وصحة معانيه. والعَجَبُ: ما لم تألفه عادة النَّاس، وهو مَصْدر وُضع مَوْضع العَجيب.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الصواب، أو إلى التوحيد والإيمان ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ بالقرآن، ولمَّا كان الإيمان بالقرآن إيمانًا باللَّه، وبوحدانيَّته، وبراءةً من الشِّرك قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ من خلقه معه، وجاز أن يكون الضمير في ﴿بِهِ﴾ للَّه تعالى؛ لأن قوله ﴿بِرَبِّنَا﴾ يُفسِّره ويدل عليه.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ عَظَمة ربنا، يقال: جدَّ فلانٌ في عيني، أي: عَظُم ومنه قول أنس: «كان الرجلُ إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا»[1]، أي: عَظُمَ في عيوننا ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾ كما يقول كفَّار الجن والإنس.

---

(١) رواه أحمد.

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ﴾

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ جاهلنا، فهي عامة، أو إبليس خاصة؛ إذْ ليس فوقه سَفيهٌ.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴾ كفرًا، لبعده عن الصواب، من شَطَّت الدَّار، أي: بَعُدَت.

وقيل: ﴿ شَطَطًا ﴾ أي: قولًا يبتعد فيه قائله عن الحق، وهو نسبة الصاحبة والولد إلى اللَّه سبحانه، والشَّطَطُ: مجاوزةُ الحدِّ في الظلم وغيره.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ قولًا كذبًا أو مكذوبًا فيه، ويجوز أن يكون منصوبًا على المصدرية؛ إذ الكذِبُ نوعٌ من القول، أي: كان في ظنّنا أنْ لنْ يكذبَ على اللَّه أحدٌ بنسبة الصاحبة والولد إليه، فكنَّا نُصدِّقُهم فيما أضافوا إليه، حتى تبيَّن لنا بالقرآن كذِبُهم. كان الرجل من العرب إذا نزل بمَخُوفٍ من الأرض قال: أعوذ بسيِّد هذا الوادي من سُفهاء قومه ـ يريد كبيرَ الجن ـ فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ ﴾ أي: زاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم بهم ﴿ رَهَقًا ﴾ طغيانًا وسفهًا، وكِبْرًا بأن قالوا: سُدْنَا الجنَّ والإنسَ، أو المعنى: فزاد الجنُّ الإنسَ ﴿ رَهَقًا ﴾ إثمًا؛ لاستعاذتهم بهم، وأصل الرَّهَق: إتيان المحظور.

من أفعال الجن وعقائدهم:

﴿ وَأَنَّهُمْ ﴾ وأنَّ الجنَّ ﴿ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾ بعد الموت، أي: أنَّ الجنَّ كانوا ينكرون البعث كإنكاركم، ثم بسماع القرآن اهتدَوْا، وأقرُّوا بالبعث، فهلَّا أقررتم كما أقرُّوا.

﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩﴾

﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طلبنا بلوغ السماء، واستماع كلام أهلها.

واللَّمس: المسُّ، فاستعير للطَّلب؛ لأنَّ الماسَّ طالبٌ يريد المعرفة ﴿فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا﴾ جَمْعًا أقوياء من الملائكة يحرسون، جمع: حارس، ونُصِبَ على التمييز.

وقيل: الحرس اسم مُفْرد في معنى الجمع أي: الحُرَّاس، كالخدم في معنى الخُدَّام، ولذا وُصف بشديد، مراعاة للفظ، ولو نُظِر إلى معناه لقيل: شِدَادًا ﴿وَشُهُبٗا﴾ جمع: شِهاب: أي كواكب مضيئة ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا﴾ مِنْ السماء قبل هذا ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ﴾ لاستماع أخبار السماء، يعني: كُنَّا نَجدُ بعض السماء خالية من الحرَّاس والشُّهُب قبل مبعث النبي ﷺ ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ﴾ يريد الاستماع ﴿ٱلۡأٓنَ﴾ بعد المبعث ﴿يَجِدۡ لَهُۥ﴾ لنفسه ﴿شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ صفة لـ ﴿شِهَابٗا﴾، بمعنى: الرَّاصد، أي: يجد شِهابًا راصدًا له ولأجله.

أو هو اسم جمع للرَّاصد، على معنى: ذوي شهاب راصدين بالرَّجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشُّهُب، ويمنعونهم من الاستماع.

والجمهور على أنَّ رجم الملائكة للشياطين لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ.

وقيل: كان الرَّجم في الجاهلية، ولكنَّ الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات، فمُنعوا من الاستراق أصلًا بعد مبعث النبي ﷺ.

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ ﴾ عذابٌ ﴿ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بعدم استراق السمع ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ خيرًا ورحمةً.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ الأبرار المتقون ﴿ وَمِنَّا ﴾ قومٌ ﴿ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ فحُذف الموصوف، وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه، أو أرادوا بقولهم ﴿ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غير الصالحين.

﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ بيان للقسمة المذكورة، أي: كنَّا أصحاب مذاهب متفرِّقة، أو أديان مختلفة، والقِدَدُ: جمع: قِدَّة، وهي القطعة، من: قَدَدْتُ السيرَ؛ أي: قطعته.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ ﴾ أيقنَّا ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ ﴾ لن نَفوته ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ حال، أي: لن نُعجزه كائنين ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أينما كنَّا فيها ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ مصدر في موضع الحال، أي: ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ ﴾ هاربين من الأرض إلى السماء، وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم.

جزاء المؤمنين والمكذبين من الجن:

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ القرآن ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ بالقرآن أو بالله ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ ﴾ أي فهو لا يخاف، مبتدأ وخبر ﴿ بَخْسًا ﴾ نقصًا من ثوابه ﴿ وَلَا رَهَقًا ﴾ أي: ولا تَرْهَقه ذِلَّةٌ من قوله: ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾(١) وقوله: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾(٢) وفيه دليلٌ على أنَّ العمل ليس من الإيمان.

---

(١) سورة يونس. الآية: ٢٧.
(٢) سورة يونس. الآية: ٢٦.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾ المؤمنون ﴿ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحقِّ، يقال: قَسَطَ أي: ظَلَمَ، وأقْسَط: عَدَل ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ طلبوا هدى، والتَّحرِّي: طلب الأَحْرى، أي: الأَوْلى.

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ ﴾ في علم اللَّه ﴿ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ وَقُودًا، وفيه دليلٌ على أنَّ الجنِّيَّ الكافر يُعذب في النار، ويُتوقَّف في كيفية ثوابهم.

﴿ وَأَلَّوِ ﴾ أصلها ﴿ أَن ﴾ مخففة من الثقيلة، يعني: وأنَّه، وهذا القول من جملة المُوحَى به، أي: أُوحي إليَّ أنَّ الشأن لَوْ ﴿ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ أي القاسطون الظالمون ﴿ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ طريقة الإسلام وتابوا ﴿ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ كثيرًا، والمعنى: لوسَّعنا عليهم الرزق، وذكَر الماءَ الغَدَقَ؛ لأنه سبب سعة الرِّزق ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما أعطاهم منه ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ ﴾ القرآن، أو التوحيد، أو العبادة ﴿ يَسْلُكْهُ ﴾ يُدخله ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ شاقًّا، وهو مصدر صَعِدَ، يقال: صَعِدَ صَعَدًا وصُعودًا، فوُصِف به العذاب؛ لأنه يتصعَّد المُعذَّب، أي: يعلوه ويَغلِبُه فلا يطيقه. ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ من جملة المُوحى به أيضًا، أي: أُوحِي إليَّ ﴿ أَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ أي: البيوت المبنيَّة للصلاة فيها ﴿ لِلَّهِ ﴾.

وقيل معناه: و لأنَّ المساجد للَّه فلا تدعوا على أنَّ اللام متعلقة بـ ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ﴾ أي: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ في المساجد؛ لأنَّها خالصة للَّه ولعبادته، وقيل: المساجد: أعضاء السجود وهي الجبهة، واليدان، والركبتان، والقدمان.

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ سيدنا محمَّد ﷺ إلى الصلاة، وتقدير الكلام: وأُوحِي إليّ أيضًا أنَّه لما قام عبد اللَّه ﴿ يَدۡعُوهُ ﴾ يعبده، ويقرأ القرآن، ولم يقل: نبيُّ اللَّه، أو رسوله؛ لأنَّ وصف العبودية أحبُّ إلى النبي ﷺ، ولأنَّه لَمَّا كان واقعًا في كلامه ﷺ عن نفسه جيء به على سبيل التواضع ﴿ كَادُواْ ﴾ كاد الجنُّ ﴿ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾ جماعاتٍ، جمع لِبْدَة، وذلك تعجبًا ممَّا رأوا من عبادته، واقتداءَ أصحابه به، وإعجابًا بما تلاه من القرآن؛ لأنَّهم رأوا ما لم يروا مثله من قبل.

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي ﴾ وحده ﴿ وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ في العبادة.

لا يملك النَّفع والضّر إلا اللَّه:

﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا ﴾ مضرَّة ﴿ وَلَا رَشَدٗا ﴾ نفعًا، يعني لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم؛ لأنَّ الضَّار والنَّافع هو اللَّه.

﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ ﴾ لن يدفع عنِّي عذابَه أحدٌ إنْ عصيته، كقول صالح عليه السلام: ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ ﴾[1] ﴿ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾ مُلتَجأ ألتجئ إليه.

﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ استثناءٌ من قوله: ﴿ لَآ أَمۡلِكُ ﴾، أي: ﴿ لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ ﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي ﴾ اعتراضًا؛ لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه.

---

(١) سورة هود . الآية: ٦٣.

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ﴾

وقيل: ﴿بَلَٰغٗا﴾ بدل من: ﴿مُلۡتَحَدًا﴾ أي: لن أجد من دونه منجيًّا ﴿إِلَّا﴾ أنْ أُبلغ عنه ما أرسلني به، يعني: لا ينجيني إلَّا أنْ أُبلغ عن اللَّه ما أُرسلت به، فإنَّ ذلك ينجيني، وقال الفرَّاء: هذا شرطٌ وجزاءٌ، وليس باستثناء وأَنْ منفصلة من «لا» وتقديره: أنْ لا أُبلغ بلاغًا؛ أي: إنْ لم أُبلغ لم أجد من دونه مُلتجأ ولا مُجيرًا لي، كقولك: إنْ لا قيامًا فقعودًا، أي: إنْ لم يكن قيام فقعودٌ، والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ.

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ عطف على ﴿بَلَٰغٗا﴾ كأنَّه قيل: ﴿لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ﴾ إلا التبليغ والرسالات، أي: إلا أنْ أُبلغ عن اللَّه، فأقول: قال اللَّه كذا ناسبًا قوله إليه، وأن أُبلغ رسالته التي أرسلني بها بلا زيادة ونقصان. و﴿مِّنَ﴾ ليست بصلة للتبليغ؛ لأنَّه يقال: بلَّغ عنه لا منه، إنَّما هي بمنزلة ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1] أي: بلاغًا كائنًا من اللَّه ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ترك القبول لما أنزل على الرسول؛ لأنَّه ذكر على أثر تبليغ الرسالة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جاء قوله ﴿لَهُۥ﴾ بصيغة المفرد؛ مراعاة للفظ ﴿مَنْ﴾، وجاء قوله ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بصيغة الجمع؛ مراعاة لمعنى ﴿مَنْ﴾ الذي يدل على الجمع[2].

﴿حَتَّىٰٓ﴾ يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال، كأنَّه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتى ﴿إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ عند حلول العذاب

(١) سورة التوبة. الآية: ١.
(٢) لأن اسم الموصول (مَنْ) يصلح للفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، ولذا يعود الضمير عليها مفردًا ومثنى وجمعًا.

﴿ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ ﴾

بهم ﴿ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴾ أهُمْ أم المؤمنون؟ أي: الكافر لا ناصر له يومئذٍ، والمؤمن ينصره اللَّه وملائكته وأنبياؤه عليهم السلام.

لا يعلم الغيب إلا اللَّه:

﴿ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ ﴾ ما أدري ﴿ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ من العذاب ﴿ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴾ غايةً بعيدة، يعني: أنكم ستعذَّبون قطعًا، ولكنْ لا أدري أهو حالٌّ بكم في وقت قريب، أم مؤجل إلى وقت بعيد.

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ هو خبرُ مبتدأٍ محذوف، تقديره: هو عالم الغيب ﴿ فَلَا يُظۡهِرُ ﴾ فلا يُطلع ﴿ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ من خلقه ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ إلا رسولًا قد ارتَضاه لعلم بعض الغيب؛ ليكون إخباره عن الغيب معجزةً له، فإنَّه يُطلعه على غيبه ما شاء، و﴿ مِن رَّسُولٖ ﴾ بيان لـ ﴿ مَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾.

﴿ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ ﴾ يَدخل ﴿ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ ﴾ يدي الرسول ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين، ويعصمونه من وساوسهم حتى يبلغ الوحي.

﴿ لِّيَعۡلَمَ ﴾ اللَّه ﴿ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ ﴾ أي: الرسل ﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ كاملةً بلا زيادة ولا نقصان، إلى المرسَل إليهم، أي: ليعلم اللَّه ذلك بعد وجوده كما كان يعلمه قبل وجوده أنه يوجد، وأفرد الضمير في قوله: ﴿ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ ﴾ مراعاة للفظ



﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ٢٨﴾

﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وجمع في ﴿أَبْلَغُوا۟﴾ مراعاة لمعناه ﴿وَأَحَاطَ﴾ اللَّه ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسل من العلم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ من القطر، والرمل، وورق الأشجار، وزَبَد البحار، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه؟ و﴿عَدَدًا﴾ حال، أي: وعلم كل شيء معدودًا محصورًا، أو منصوب على أنه مصدر في معنى: إحصاءً.

لطيفة:

أجمع القرَّاء على فتح الهمزة في قوله ﴿أَنَّهُ﴾؛ لأَنَّه فاعل ﴿أُوحِىَ﴾، و﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾، و﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ وذلك للعطف على قوله ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ فـ (أَنْ) مخففة من الثقيلة، وأجمعوا أيضًا على فتح الهمزة في قوله: ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾، لتعدي ﴿يَعْلَمُ﴾ إليها، وأجمعوا على كسر ما بعد فاء الجزاء نحو: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وكذلك ما بعد القول نحو ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾؛ لأَنَّه مبتدأٌ محكيٌّ بعد القول.

واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ فقرأها ابن عامر، وحفص، وحمزة، والكسائي، بفتح الهمزة، عطفًا على قوله ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ أو عطفًا على محلِّ الجار والمجرور في قوله ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ تقديره: صدَّقناه، وصدَّقنا أَنَّهُ تعالى جَدُّ رَبّنا و﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إلى آخرها.

وقرأ غيرهم بكسرها، عطفًا على قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ وهم يقفون على آخر الآيات.



من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾ مجاز مرسل؛ لأنَّ المسّ هو اللمس، واللامس هو طالب متعرف يطلب الشيء؛ ليتعرف عليه.

ـ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ اختلاف صورة الكلام لاختلاف الأحوال؛ فعن إرادة الشرِّ جاء الفعل مبنيًّا للمجهول ﴿أُرِيدُ﴾ وعن إرادة الهدى والخير جاء الفعل مبنيًا للمعلوم، والداعي لذلك نسبة الخير إليه سبحانه في الثانية ومنع نسبة الشرِّ إليه في الأولى وهذا من الأدب مع اللَّه.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ عموم دعوته ﷺ للجنِّ والإنس.

٢ـ الاستعانة بالجنِّ لا تزيد صاحبها إلا عنتًا ومشقةً.

٣ـ مُنِعَ الجنُّ من استراق السَّمع بعد مبعث النبي ﷺ.

٤ـ الجنُّ لا يعلمون الغيب.

٥ـ الجنُّ في أديانهم ومذاهبهم مختلفون.

٦ـ ما على الرَّسول إلا البلاغ.

٧ـ اللَّه تعالى يعلم أمور خلقه علمًا أزليًّا قبل وقوعه، ويعلمها عند وقوعها علمًا حضوريًّا مشاهدًا.

* * *

الأسئلة

س١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾؟

س٢: وما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾؟

س٣: ما الفرق بين القاسط والمقسط؟

س٤: ما إعراب قوله: (عددًا)؟

س٥: ما السِّر البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾؟

س٦: هات من السورة ما يدل على:

(أ) أن الغيب لا يعلمه إلا اللَّه.

(ب) أن النفع والضر بيد اللَّه.

س٧: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊



سورة المزمل
(مكيّة وهي: عشرون آية)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾

ثِقَلُ الوحيِّ وشدَّته:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ أي المتزمِّل، وهو الذي تزمَّل في ثيابه، أي: تلفَّف بها، وكان النبي ﷺ نائمًا بالليل مُتزمِّلًا في ثيابه، فأمره اللَّه بالقيام للصلاة بقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناءٌ من قوله تعالى: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ تقديره: قم نصف الليل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من نصف الليل ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثُلُث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ على النصف إلى الثلثين، والمراد: التخيير بين أمرين، بين أنْ يقوم أقلَّ من نصف الليل فقط، أو أن يختار النقصان من النصف أو الزيادة عليه، وإن جعلت قوله: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدلًا من قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ كان ﷺ مخيرًا بين ثلاثة أشياء: بين قيام نصف الليل تامًّا، وبين قيام النَّاقص منه، وبين قيام الزائد عليه، ووصف النصف بالقلة ـ مع أنّه ليس كذلك ـ نسبةً إلى الكُل، فإطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف، ولهذا قلنا: إذا أقرّ أنَّ لفلان عليه ألفَ درهمٍ إلا قليلًا، فإنَّه يلزمه أكثر من نصف الألف.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ بَيِّنْ وفَصِّلْ، أو: اقرأ على مَهْلٍ[1] بتبيين الحروف، وحفظ الوقوف، وإشباع الحركات.

(١) المهل التؤدة والرفق وعدم العجلة.



﴿ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ ﴾

﴿ تَرۡتِيلًا ﴾ هو تأكيدٌ في إيجاب الأمر به، وأنَّه لا بد منه للقارئ ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ ﴾ سننزل عليك ﴿ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ أي: القرآن؛ لِمَا فيه من الأوامر، والنواهي؛ التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلَّفين، أو: ﴿ ثَقِيلًا ﴾ على المعارضين المعاندين، أو: كلامٌ له وزن ورُجْحان، ليس بالرديء الخفيف.

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ ﴾ قيام الليل، فهو مصدرٌ من: نشأ، إذا قام ونهض، على وزن «فاعلة» كالعافية. أو: العبادة عمومًا التي تنشأ بالليل؛ أي: تحدث فيه، أو: ساعات الَّليل؛ لأنها تنشأ ساعة فساعة. (هي أشد وِطَاءً) بِكَسْر الْوَاو وَفتح الطَّاء وَالْمدّ، وهي قراءة أبي عمرو، وابن عامر، بمعنى وِفَاقًا أي: يوافق فيها قلبُ القائم لسانَه.

وعن الحسن: قال أشد موافقةً بين السر والعلانية؛ لانقطاع رؤية الخلائق.

وقرأ غيرهما: ﴿ وَطۡـٔٗا ﴾ أي: أثقل على المصلي من صلاة النَّهار؛ لمقاومته للنَّوم في ذلك الوقت، من قوله ﷺ: «اللهم اشدد وَطْأَتك على مضر»[1].

﴿ وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ وأشد مقالًا وأَثْبَتُ قراءةً؛ لهدوء الأصوات وانقطاع الحركات.

﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾ تصرفًا، وتقلبًا في مهمَّاتك، وشواغلك، ففرِّغ نفسك في الَّليل لعبادة ربك، أو فراغًا طويلًا لنومك وراحتك.

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ ودُمْ على ذكره في الَّليل والنَّهار، وذكر اللَّه يتناول: التسبيح، والتهليل، والتكبير، والصلاة، وتلاوة القرآن، ودراسة العلم ﴿ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ ﴾ انقطع

---

(١) رواه البخاري ومسلم.



﴿تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾

إلى عبادته عن كل شيء، والتَّبتُّل: الانقطاع إلى اللَّه تعالى بالطَّمع في الخير منه دون غيره، وقيل: رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند اللَّه.

﴿تَبۡتِيلٗا﴾ مصدر، ولم يأت تَبَتُّلًا على صورة الفعل ﴿وَتَبَتَّلۡ﴾ زيادة في التأكيد، أوجيء به هكذا مراعاة لفواصل الآيات ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ بالرفع، أي: هو ربٌّ، فيكون خبرًا لمبتدأ محذوف، أو ﴿رَّبُّ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقرأ ابن عَامر وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ بخفض الباء في ﴿رَّبُّ﴾ على أنّه بدلٌ من قوله ﴿رَبِّكَ﴾.

وقيل: مجرورٌ على القَسَم بإضمار حرف القسم، نحو «اللَّهِ لأفعلنَّ»، وجواب القَسَم: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، كقولك: واللَّه لا أحد في الدار إلا زيد.

﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ وليًّا، وكفيلًا بما وعدك من النَّصر، أو: إذا علمت أنّه مَلَكَ المشرق والمغرب، وأنْ لا إله إلا هو ﴿فَٱتَّخِذۡهُ﴾ كافيًا لأمورك، وفائدة الفاء التَّعقيب والسُّرعة، أي: بعد أنْ عرفت أنَّ تفويض الأمور إلى الواحد القهار، فلا عذر لك في الانتظار بعد الإقرار.

اللَّه يتولّى رسوله ﷺ

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيَّ من نسبة الصاحبة والولد، وفيك من نسبة السِّحر والشِّعر ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ جانبهم بقلبك، وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة.



﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾

﴿ وَذَرْنِي ﴾ أي: كِلْهم إليّ فأنا كافيهم ﴿ وَٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ رؤساء قريش، وهو مفعول معه، ويجوز أن يكون معطوفًا على ﴿ وَذَرْنِي ﴾ أي: دعني وإيَّاهم ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ ﴾ بفتح النُّون معناه: التنعُّم، وبكسرها معناه: الإنعام ﴿وَمَهِّلْهُمْ ﴾ إمهالًا ﴿ قَلِيلًا ﴾ إلى يوم بدر، أو إلى يوم القيامة ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ ﴾ للكافرين في الآخرة ﴿أَنكَالًا ﴾ قيودًا ثقالا، جمع نِكْل ﴿ وَجَحِيمًا ﴾ نارًا محرقة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ أي: الذي يتشبَّث في الحُلْقوم فلا يُساغ، يعني الضَّريع والزَّقوم ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يصل وَجَعُه إلى القلب.

وعن الحسن: أنَّه أمسى صائمًا، فأُتي بطعام فعَرضت له هذه الآية، فقال: ارفعه، ووضع عنده الليلة الثانية، فعَرضت له فقال: ارفعه، وكذلك الليلة الثالثة، فأُخبر ثابتُ البُناني وغيرُه، فجاءوا، فلم يزالوا به حتى شرب شربةً من سَوِيق.

منْ أهوال يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ ﴾ منصوبٌ بما في ﴿لَدَيْنَآ ﴾ من معنى الفعل، أي: استقرَّ للكفَّار لدينا كذا وكذا، يومَ ﴿تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ أي: تتحرك حركةً شديدةً ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا ﴾ رملًا مجتمعًا، من: كَثَبَ الشيء: إذا جمعه، كأنَّه «فعيل» بمعنى «مفعول» ﴿مَّهِيلًا ﴾ سائلًا بعد اجتماعه.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾ يعني موسى عليه السلام ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي ذلك الرسول؛ لأنَّ النَّكرة إذا أعيدت معرفة كان المراد بالثاني عينَ الأول ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ شديدًا غليظًا، وإنَّما خصَّ موسى عليه السلام وفرعون؛ لأنَّ خبرهما كان منتشرًا بين أهل مكة؛ لأنهم كانوا جيران اليهود.

﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا﴾ هو مفعول ﴿تَتَّقُونَ﴾ أي: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ﴾ عذابَ يومِ كذا ﴿إِن كَفَرۡتُمۡ﴾ هنا؟

أو منصوب على الظَّرفية، أي: فكيف لكم التقوى في يوم القيامة إنْ كفرتم في الدنيا[١].

أو منصوب بـ ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ على تأويل جحدتم، أي: ﴿فَكَيۡفَ﴾ تتقون اللَّه وتخشونه إنْ جحدتم يومَ القيامة والجزاءَ؟؛ لأنَّ تقوى اللَّه: الخوف من عقابه ﴿يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ﴾ صفة لـ ﴿يَوۡمٗا﴾ والعائد محذوفٌ؛ أي: فيه ﴿شِيبًا﴾ من هوله وشدَّته، وذلك حين يقال لآدم عليه السلام: «قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ»[٢].

و﴿شِيبًا﴾ جمع أَشْيَب، وقيل: هو على التمثيل للتهويل، يقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ وصفٌ لليوم بالشِّدَّة أيضًا، أي: ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ على عظمها وإحكامها تنفطر فيه، أي: تنْشَقُّ، فما ظنُّك بغيرها من الخلائق؟

---

(١) والكلام حينئذ للحث على الإقلاع عن الكفر، والمعنى: إذا لم تتقوا في الدنيا فكيف تتقون يوم القيامة والراجح الإعراب الأول كما أفاده العلامة الآلوس ٢٩/ ١٠٩.
(٢) رواه البخاري بنحوه.



﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾

والتذكير في ﴿بِهِۦ﴾ فلم يقل: بها على تأويل السماء بالسَّقف، أو: ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ شيء ﴿مُنفَطِرُۢ﴾ وقوله ﴿بِهِۦ﴾ أي: بيوم القيامة، يعني: أنها تنفطر لشدَّة ذلك اليوم، وهوله؛ كما ينفطر الشيء بما يُفْطر به ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ المصدر مضاف إلى المفعول وهو اليوم، أو إلى الفاعل، وهو اللَّه عز وجل ﴿مَفۡعُولًا﴾ كائنًا. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد ﴿تَذۡكِرَةٞۖ﴾ موعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: فمن شاء اتعظ بها، واتخذ سبيلًا إلى اللَّه بالتقوى والخشية.

قيام الليل دأب النبي ﷺ:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ﴾ أقل، فاستعير الأدنى ـ وهو الأقرب ـ للأقل؛ لأنَّ المسافة بين الشيئين إذا دنت قَلَّ ما بينهما من الفراغ، وإذا بعُدَت كثُر ذلك ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ بضم اللام ﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ منصوبان عطفًا على قوله ﴿أَدۡنَىٰ﴾، وهو مفعول ﴿تَقُومُ﴾ ﴿وَطَآئِفَةٞ﴾ عُطِف على الضمير المستتر في ﴿تَقُومُ﴾ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: ويقوم ذلك المقدار جماعةٌ من أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: لا يَقْدر على تقدير الليل والنهار، ولا يعلم مقادير ساعاتها إلا اللَّه وحده، وتقديم اسمه عز وجل مبتدأً مبنيًا عليه ﴿يُقَدِّرُ﴾ يشعر بالاختصاص.

ولمَّا قاموا حتى انتفخت أقدامهم نزل قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدةٍ ومشقةٍ، وفي ذلك حرجٌ ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ فخفّف



﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ﴾

عليكم، وأسقط عنكم فرض قيام الليل ﴿فَٱقۡرَءُواْ﴾ في الصلاة، ويكون الأمر للوجوب، أو: في غيرها، ويكون الأمر للنَّدب ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾.

وقيل: أراد بالقرءان الصلاة؛ لأنه بعض أركانها، أي فصلُّوا ما تيسَّر عليكم، ولم يصْعُب عليكم من صلاة اللَّيل، وهذا ناسخٌ للحكم الأول، ثم نُسخ هذا بالصَّلوات الخمس.

ثمَّ بيَّن الحكمة في النَّسخ، وهي صعوبة القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم﴾ أي: أنَّه، فـ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، والسين بدلٌ من تخفيفها، وحذف اسمها ﴿مَّرۡضَىٰ﴾ فيشقُّ عليهم قيام الليل ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يسافرون ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ حال من ضمير ﴿يَضۡرِبُونَ﴾ أي: يضربون في الأرض مبتغين ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ رِزقَه بالتجارة، أو طلب العلم ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ سوّى بين المجاهد والمُكْتَسب الذي يتكسَّب رِزقه بالحلال؛ لأنَّ كسبَ الحلال جهادٌ.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ كرَّر الأمر بالتيسير لشدة احتياجهم ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة[1] ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ بالنّوافل. والقَرْض لغةً: القَطْعُ، فالمُقرِضُ يقطع ذلك القَدْرَ من ماله فيدفعه إلى غيره، وكذا المُتَصَدِّق يقطع ذلك القَدْر من ماله فيجعله لله تعالى، وإنَّما أضاف سبحانه القَرْضَ إلى نفسه؛

---

(١) وهذا قول كثير من المفسرين وهو مبني على أن هذه الآية مدنية.



﴿قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

لئلا يمنَّ الغنيُّ على الفقير فيما يتصدق به عليه؛ وهذا لأنَّ الفقيرَ معاون له في تلك القُربة، فلا يكون للغني عليه مِنَّة، بل المنَّة للفقير عليه ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ من الحلال مع إخلاص النِّية لله ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ أي: تجدوا ثوابه، وهو جواب الشَّرْط؛ لأنَّ ﴿مَا﴾ شرطية ﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ ممَّا خلَّفتم وتركتم، فالمفعول الثاني لـ﴿تَجِدُوهُ﴾ قوله ﴿خَيْرًا﴾ والمفعول الأول: الضمير في ﴿تَجِدُوهُ﴾ ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ وأجزل ثوابًا، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟﴾ من السيئات، والتقصير في الحسنات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يستر على أهل الذنب والتَّقصير ﴿رَّحِيمٌ﴾ يخفف عن أهل الجهد والتوفيق.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ جاء المصدر على غير صورة الفعل، حيث إنَّ مصدر ﴿وَتَبَتَّلْ﴾: تبتل وليس ﴿تَبْتِيلًا﴾، وذلك لزيادة التأكيد، أو مراعاة لفواصل الآيات.

ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ استعارة حيث استخدم لفظ الأدنى ومعناه الأقرب، بدلًا من لفظ الأقل؛ لأنَّ المسافة بين الشيئين إذا دنت قَلَّ ما بينهما من الفراغ، وإذا بعُدَت كثُر ذلك.

ـ تقديم لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يفيد اختصاص ذلك باللَّه تعالى، وأنَّه لا يَقدر على تقدير الليل والنهار، ولا يعلم مقادير ساعاتهما



إلا اللَّه وحده.

ـ كرَّر الأمر بالتيسير في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾؛ لشدة الاحتياط من التطويل في القراءة.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ – ينبغي للداعي إلى اللَّه ألّا يركن إلى الراحة كما يفعل غيره.

٢ – ثِقل الوحيِّ وشدَّتُه على رسول اللَّه ﷺ.

٣ – أعدَّ اللَّه للمكذبين برسوله ﷺ ألوان العذاب الأليم.

٤ – ليوم القيامة أهوالٌ ينبغي الاستعداد لها.

٥ – قيام الليل دأب الصالحين من الأنبياء وأتباعهم.

***



الأسئلة

س١ : ما المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾؟ ولماذا كان ثقيلًا؟ وما الواجب على المسلمين تجاهه؟

س٢ : ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾؟

س٣: ما المراد بالتبتل؟ ولم جاء المصدر ﴿تَبْتِيلًا﴾ على غير صورة الفعل؟

س٤ : ما إعراب: ﴿يَوْمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾؟

س٥ : ما القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾؟

س٦ : ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ﴾؟

س٧: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

***



سورة المدَّثِّر
(مكية وهي ست وخمسون آية)

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾

روى جابر أنَّ النبي ﷺ قال: «كنت على جبل حراء فنوديتُ: يا محمد، إنَّك رسول اللَّه، فنظرت عن يميني ويساري فلم أرَ شيئًا، فنظرتُ إلى فوقي، فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض ـ يعني الملك الذي ناداه ـ ، فَرُعِبْتُ ورجعتُ إلى خديجة فقلتُ: دثِّروني دثِّروني، فدثَّرتْه خديجة، فجاء جبريل وقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾»[1].

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أي: المتلفِّف بثيابه، من الدِّثار، وهو كل ما كان من الثياب فوق الشِّعار، والشِّعار: هو الثوب الذي يلي الجسد.

﴿قُمْ﴾ من مضجعك، أو قم قيام عزم وتصميم، ﴿فَأَنذِرْ﴾ فحذِّر الناس من عذاب اللَّه إن لم يؤمنوا.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وخُصَّ ربك بالتكبير وهو التعظيم، أي: لا يكْبُر في قلبك غيره.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهرها بالماء عن النجاسة؛ لأنَّ الصلاة لا تصح إلا بالطهارة، وهي الأولى كذلك في غير الصلاة، أو فطهر نفسك ممَّا يُسْتقذر من الأفعال والمعايب.

﴿وَالرُّجْزَ﴾ العذاب، والمراد: ما يُؤدِّي إليه ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي: اثبت على تركه؛ لأنَّه كان بريئًا منه.

(١) أخرجه البخاري.



﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ بالرفع، وهو منصوب المحلّ على الحال، أي: لا تعط مستكثرًا، أو طالبًا أكثر ممَّا أعطيت، فإنَّك مأمور بأجلِّ الأخلاق وأشرف الآداب.

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ ولوجه اللَّه فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه.

هول يوم القيامة

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾ نفخ في الصور، وهي النفخة الأولى، وقيل: الثانية.

﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى وقت النَّقْر، وهو مبتدأ، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ مرفوع المحل بدل من ذلك، ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ خبر، كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير، والفاء في ﴿ فَإِذَا ﴾ سببية، وفي ﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ للجزاء، كأنه قيل: اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى عاقبة صبرك عليهم، والعامل في ﴿ فَإِذَا ﴾ ما دل عليه الجزاء، أي: فإذا نقر في الناقور عَسُرَ الأمر.

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ وأكد بقوله ﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾، ليؤذن بأنه يسيرٌ على المؤمنين.

تهديد ووعيد:

﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ ﴾ أي: اترك أمره إِليَّ، يعني: ـ الوليد بن المغيرة ـ، وكان يلقب في قومه بالوحيد، وقوله: ﴿ وَمَنْ خَلَقْتُ ﴾ معطوف، أو مفعول معه ﴿ وَحِيدًا ﴾ حال من الياء في ﴿ ذَرْنِى ﴾ أي: اتركني وحدي معه فإنِّي أكفيك أمره، أو من التاء في ﴿ خَلَقْتُ ﴾، أي: خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحدٌ، أومن الهاء المحذوفة في ﴿ خَلَقْتُ ﴾، أو من «مَنْ» أي خلقته منفردًا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه[1].

(١) والأخير هو الراجح حسبما عزاه العلامة الآلوس لأبي حيان، وهو المناسب للحال كما لا يخفى.



﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ مبسوطًا كثيرًا، أو ممدودًا بالنَّمَاء والزيادة. وعن مجاهد: كان له مائة ألف دينار، وله أرضٌ بالطائف لا ينقطع ثمرها.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ حضورًا معه بمكة؛ لغناهم عن السفر، وكانوا عشرة، أسلم منهم خالد وهشام وعمارة.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ وبسطت له الجاه والرياسة، فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه، فيرجو أن أزيد في ماله وولده من غير شكر.

وقال الحسن: ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾ أنْ أُدخله الجنة فأُوتيه مالًا وولدًا، كما قال: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[1].

﴿كَلَّآ﴾ ردع له وقطع لرجائه، أي: لا يُجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم، فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿عَنِيدًا﴾ معاندًا جاحدًا، وهو تعليل الردع على وجه الاستئناف، كأنَّ قائلًا قال: لِمَ لا يُزاد؟ فقيل: إنَّه جحد آيات المُنعم، والكافر لا يستحق المزيد.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ سأغشيه ﴿صَعُودًا﴾ عقبة شاقة المصعد.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تعليل للوعيد، كأنَّ اللَّه ـ تعالى ـ عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز؛ لعناده، ويُعاقبه في الآخرة بأشد العذاب؛ لبلوغه بالعناد غايته، وتسميته

(١) سورة مريم. الآية: ٧٧.



﴿وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤﴾

القرآن سحرًا، يعني: إنَّه فكر ماذا يقول في القرآن، ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقوله وهيَّأه.

﴿فَقُتِلَ﴾ لعن ﴿كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تَعَجُّب من تقديره.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ كُرِّر للتأكيد، و﴿ثُمَّ﴾ يُشعر بأنَّ الدعاء الثاني أبلغ من الأول.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجوه الناس ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قَطَّب ما بين عينيه، حين استعصى عليه أن يجد في القرآن مطعنًا ﴿وَبَسَرَ﴾ تغيَّر وجهه خوفًا حين لم يجد ما يشفي غليله من مطعن في القرآن.

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ عنه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ عطف على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، والدعاء اعتراض بينهما، وإيراد ﴿ثُمَّ﴾ في المعطوفات؛ لبيان أنَّ بين الأفعال المعطوفة مدة من الزمن.

﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا ﴿إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ سحر مأثور أي: مرويٌّ عن الأقدمين.

رُوي أنَّ الوليد قال لبني مخزوم: واللَّه لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمُغْدِق، وإنَّه يعلو ولا يُعلى عليه، فقالت قريش: صبأ والله الوليد، فقال: أبو جهل وهو ابن أخيه، أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزينًا، وكلَّمَهُ بما أحْمَاه، فقام الوليد فأتاهم، فقال: تزعمون أنَّ محمدًا مجنون فهل رأيتموه يُخْنِقُ؟

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾

وتقولون: إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهَّن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرًا قط؟ وتزعمون أنه كاذب فهل جربتم عليه شيئًا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر، أَمَا رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل، فارتج النادي فرحًا وتفرقوا متعجبين منه[1]..

وذِكْرُ الفاء في قوله: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ ﴾ دليلٌ على أنَّ هذه الكلمة لَمَّا خطرت بباله نطق بها من غير تلبث.

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ ولم يذكر حرف عطف بين هاتين الجملتين؛ لأنَّ الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى.

﴿ سَأُصْلِيهِ ﴾ سأدخله، وتعرب «بدلًا» من: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾. ﴿ سَقَرَ ﴾ اسم لجهنم، ولم ينصرف للعلمية والتأنيث.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ تهويل لشأنها.

﴿ لَا تُبْقِي ﴾ أي: هي لا تبقي لحمًا ﴿ وَلَا تَذَرُ ﴾ ولا تترك عظمًا ولا تُبقي شيئًا فيها إلا أهلكته.

﴿ لَوَّاحَةٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هي لواحة ﴿ لِّلْبَشَرِ ﴾ جمع بشرة وهي ظاهر الجلد، أي: جهنم محرقة للجلود.

---

(١) صححه الحاكم على شرط البخاري.

﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾

﴿عَلَيۡهَا﴾ على سقر ﴿تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ أي: يتولي أمرها تسعة عشر ملَكًا عند الجمهور، وقيل: تسعة عشر صنفًا من الملائكة.

خزنة جهنم والحكمة من ذكر عددهم:

﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي: خزنتها. ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ﴾ لأنَّهم خلاف جنس المعذَّبين، فلا تأخذهم الرأفة والرقة بهم؛ لأنَّهم أشد الخلق بأسًا، فللواحد منهم قوة الثقلين.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ﴾ تسعة عشر. ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ﴾ أي: ابتلاءً واختبارًا. ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ لأنَّ عدتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنَّه مُنزَّلٌ من اللَّه.

﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بمحمد، وهو عطف على ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ﴾

﴿إِيمَٰنٗا﴾ لتصديقهم بذلك كما صدَّقوا سائر ما أُنزل، أو يزدادوا يقينًا لموافقة كتابهم كتاب أولئك.

﴿وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ هذا عطف على ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ﴾ أيضًا، وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ نفاق ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ والمشركون. فإن قلتَ: النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية، قلتُ: معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة[1].

---

(١) ولعل الأولى أن يقال المراد مطلق من في قلوبهم مرض بقطع النظر عن كونه مرض النفاق أو مرض الكفر أو مرض العناد والجحود.



﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥ ﴾

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ ﴾ أي: أيُّ شيءٍ أراد اللَّه بهذا العدد العجيب؟ وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين، وغرضهم من هذا السؤال الإنكار أصلًا. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده، وهو الذي علم منه اختيار الضلال، ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء، ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ ﴾ لكثرتهم ﴿إِلَّا هُوَۚ ﴾ فلا يعز عليه إكمال الخزنة عشرين، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها.

﴿وَمَا هِيَ ﴾ الضمير يعود على ﴿سَقَرُ﴾ أي: وما سقر وصفتها. ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾ أي: تذكرة للبشر. ويجوز أن يعود الضمير على الآيات التي ذُكرت فيها.

﴿كَلَّا ﴾ إنكار أن تكون لهم ذكرى؛ لأنَّهم لا يتذكرون ﴿وَٱلۡقَمَرِ﴾ أقسم به لعظم منافعه. ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ ولَّى وذهب ومضى.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ أضاء، وجواب القسم: ﴿إِنَّهَا ﴾ أي: إنَّ سقر ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ الكُبَر: هي جمع الكبرى، أي: لإحدى البلايا، أو الدَّواهي العظيمة، ومعنى كونها إحداهنَّ: أنَّها من بينهنَّ واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول: هو أحد الرجال وهي إحدى النساء.



﴿ نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ ﴾

﴿ نَذِيرًا ﴾ تمييز من (إحدى)، أي: ﴿ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ﴾ الدَّواهي إنذارًا، كقولك: وهي إحدى النساء عفافًا، ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ ﴾ إلى الخير ﴿ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾ عنه، وعن الزجاج: يتقدم إلى ما أُمر ويتأخر عمَّا نُهي.

نجاة المؤمنين وعذاب المجرمين:

﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ هي اسم بمعنى الرهن، كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنَّه قيل: كل نفس بما كسبت رَهْن، والمعنى: كل نفس رَهْن بكسبها عند اللَّه غير مفكوك.

﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ أي: إلا المسلمين فإنَّهم فكُّوا رقابهم بالطاعة كما يُخلِّص الراهن رهنه بأداء الحق. ﴿ فِي جَنَّٰتٖ ﴾ أي: هم في جنات عظيمة ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ يسأل بعضهم بعضًا عنهم، أو يسألون غيرهم عنهم. ﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴾ ما الذي أدخلكم فيها؟!

﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ أي: لم نعتقد فرضية الصلاة. ﴿ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴾ كما يطعم المسلمون. ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴾ الخوض: الشروع في الباطل أي: كنَّا نقول الباطل، والزور في آيات اللَّه.

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي: بالحساب والجزاء.



﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ٤٩ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ٥١ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ٥٢ كَلَّاۖ﴾

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ الموت. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ من الملائكة والنبيين والصالحين؛ لأنَّ الشفاعة للمؤمنين دون الكافرين، وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين.

﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ﴾ عن التذكير وهو العظة أي: القرآن ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿لَهُمۡ﴾.

﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ﴾ أي: حمر الوحش، والجملة حال من الضمير في ﴿مُعۡرِضِينَ﴾، ﴿مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ شديدة النفار والفرار، كأنَّها تطلب الفرار من نفوسها، وقرأ أبو جعفر ونافع، وابن عامر ﴿مُّسۡتَنفَرَةٞ﴾ بفتح الفاء على أنَّها اسم مفعول، أي: استنفرها غيرها.

﴿فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾ القسورة: الرُّماة أو الأسد، على وزن فَعْوَلة من القسر وهو القهر والغلبة، شُبِّهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمرٍ جدَّت في فرارها وهروبها.

﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ قراطيس تُنْشر وُتقرأ، وذلك أنَّهم قالوا لرسول اللَّه ﷺ: لن نتبعك حتي تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء(١).

﴿كَلَّاۖ﴾ ردع لهم عن تلك الإرادة، وزجر عن اقتراح الآيات.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾(سورة الإسراء. الآية: ٩٣)



﴿ بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

ثم قال ﴿ بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة.

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ ردع لهم عن إعراضهم عن التذكرة. ثم قال: إنَّ القرآن تذكرةٌ بليغة كافية، ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ أي: فمَنْ شاء أن يذكره ولا ينساه فعل، فإنَّ نفعَ ذلك عائدٌ إليه.

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ إلا وقت مشيئة اللّه، أو إلا بمشيئة اللّه ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ هو أهلٌ أن يُتَّقى، وأهل أن يغفر لمَنْ اتقاه.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ قُدِّم المفعول به؛ لإفادة الاختصاص.

ـ في قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ كناية عن الأمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من الأحوال.

ـ في قوله تعالى: ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ مجاز مرسل علاقته المسببية، عبّر بالرجز، والمراد عبادة الأصنام؛ لأنَّه مسبَّبٌ عنها.

ـ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ للتهويل والتفخيم.

ـ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ للتوبيخ ويُشْعِرُ بأنَّ الزج بالمجرمين في سقر، كان بعنف وقهر.



ـ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ذكر الخاص بعد العام وهو الخوض بالباطل مع الخائضين؛ لتعظيم هذا الذنب.

ـ في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ تشبيه تمثيلي؛ حيث شبه المشركين في إعراضهم عن القرآن، بحمر فرّت ممَّا أفزعها، وفي تشبيههم بالحمر: مَذَمَّة ظاهرة.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ أُمر النَّبِيُّ ﷺ بالإنذار لحكم بالغة منها:

(أ) تعظيم اللَّه ووصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد، كما يقول عبدة الأوثان.

(ب) تطهير النفس من المعاصي المؤدية إلى العذاب، وتجميلها بمحاسن الأخلاق.

(ج) هجر الأوثان والمآثم التي هي سبب العذاب، ويراد بذلك الأمر المداومة على ذلك الهجران.

(د) الصبر على أداء الفرائض والعبادات، وعلى إيذاء الناس بسبب تبليغ الدين.

٢ ـ تهديد الكفار الأشقياء بأهوال يوم القيامة.

٣ ـ خزنة جهنم وزبانيتها التسعة عشر هم من الملائكة، لا من الرجال الذين يمكن مقاومتهم بالتجمع عليهم.

٤ ـ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٥ ـ تقرير سنة من سنن اللَّه سبحانه في عباده وهي ربط الأسباب بالمسببات، فمَنْ ضلَّ فإنَّما يضلُّ بنفسه واختياره، ومَنْ اهتدى فإنَّما يهتدي بنفسه وإرادته واختياره.

٦ ـ جهنم إحدى البلايا العظام والدواهي الكبار، وهي إنذار دائم للبشر.

٧ ـ كل نفس مرتهنة يوم القيامة بكسبها، مأخوذة بعملها، إما خلّصها وإما أهلكها، إلا الذين يُعْطَون كتبهم بأيمانهم، فإنَّهم لا يُرتهنون بذنوبهم.

٨ ـ ترك الصلاة، وترك الصدقة، ومخالطة أهل الباطل في باطلهم، والتكذيب بيوم القيامة، من أسباب دخول النار يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

س١: ما معنى المدثر؟ وما معنى ﴿فَأَنذِرْ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؟ وما الوجه البلاغي فيه؟ وما إعراب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾؟.

س٢: مَنْ المراد بقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ وما المعنى؟ وبم كان يلقب في قومه؟ وما إعراب ﴿وَحِيدًا﴾؟ وما معنى ﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾؟ وما الغرض من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾؟

س٣: ما الذي أفادته ﴿كَلَّآ﴾ في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَاتِنَا﴾؟ وما الآيات؟ وما معنى ﴿عَنِيدًا﴾؟ وما الغرض منه؟ وما معنى ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾؟.

س٤: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي﴾؟ وما معنى ﴿وَلَا تَذَرُ﴾؟ وما إعراب ﴿لَوَّاحَةٌ﴾؟ وما المراد بـ ﴿أَصْحَابَ ٱلنَّارِ﴾؟.

س٥: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ﴾؟ وما معنى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾؟ وما أصل الخوض؟ وما الوجه البلاغي في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾؟ وما إعراب ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾؟.

س٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة القيامة

(مكية وهي أربعون آية)

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾

إثبات البعث

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ عن ابن عباس: أنَّه أقسم بيوم القيامة، و﴿لَآ﴾ صلة، أي: زائدة للتأكيد[1]، وعليه الجمهور، وعن الفراء: ﴿لَآ﴾ لردِّ إنكار المشركين البعث، كأنَّه قيل: ليس الأمر كما تزعمون، ثم قيل: أُقسم بيوم القيامة.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ الجمهور على أنَّه قَسَمٌ آخر، وعن الحسن: أَقْسَمَ بيوم القيامة، ولم يُقْسِم بالنفس اللوامة، فهي صفة ذم، وعلى القسم صفة مدح.

والنفس اللوامة: النفس النقية التي تلوم على التقصير في التقوى، وجواب القسم محذوف تقديره: لتُبعثنَّ، دليله قوله تعالي: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ أي: الكافر المنكر للبعث ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بعد تفرقها ورجوعها رُفاتا مختلطًا بالتراب.

﴿بَلَىٰ﴾ أوجبت ما بعد النفي، أي: بلى نجمعها ﴿قَـٰدِرِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿نَّجْمَعَ﴾ أي: نجمعها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت، ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ أصابعه، كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها، فكيف بكبار العظام؟

---

(١) المراد من الزيادة أي في الإعراب فقط وإلا فإنها تفيد معنى التأكيد ولا ينبغى أن نفهم الزيادة بالمعنى العام لأنها حينئذ تكون عبثا، والعبث على الله محال.

﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطف على ﴿أَيَحْسَبُ﴾، فيجوز أن يكون مثله استفهامًا ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليستمر على فجوره فيما يستقبله من الزمان. ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سؤالُ مُتَعَنِّتٍ مُسْتَبْعِدٍ لقيام الساعة.

من أهوال يوم القيامة

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ تَحيَّر فزعًا. ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذُهب بضوئه، أو غاب من قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾[1]. ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي: جُمِع بينهما في الطلوع من المغرب، أو جُمعا في ذهاب الضوء. ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر والمؤمن أيضًا من شدة الهول. ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ أي: الفرار من النار. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفر ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وحده ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقر العباد، أو موضع قرارهم من جنة أو نار مُفوضٌ لمشيئته، مَنْ شاء أدخله الجنة، ومَنْ شاء أدخله النار. ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ يُخبَر ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ مِنْ عَمَلٍ عمله ﴿وَأَخَّرَ﴾ من عمل لم يعمله[2]. ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد، والهاء للمبالغة، كهاء علّامة ونسّابة، أو الهاء للتأنيث، وأنَّثه؛ لأنَّه أراد به جوارحه إذ جوارحه، تشهد عليه، أو هو حجة على نفسه، والبصيرة: الحجة، قال اللَّه تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾[3]، و﴿بَصِيرَةٌ﴾ مبتدأ مرفوع بالابتداء، وخبره ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ تَقَدَّم عليه، والجملة من المبتدأ والخبر: خبر ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

---

(١) سورة القصص . الآية: ٨١.

(٢) أي سن سنة حسنة فَيُعْمل بها بعد موته، أو نوى أن يعمل أعمالا صالحة ثم عاجله الموت وهو على هذه النية الحسنة فإنه يثاب على ذلك.

(٣) سورة الأنعام . الآية: ١٠٤.

﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٢١﴾

كقولك: زيد على رأسه عمامة. ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ أرخى سُتُورَه، والمِعْذار: الستر، وقيل: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها ما قُبلت منه.

حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن

﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن، وكان ﷺ يأخذ في القراءة قبل فراغ جبريل، كراهة أن يتفلَّت منه، فقيل له: لا تحرك لسانك بقراءة القرآن ما دام جبريل يقرأ، لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك[1].

ثم علل النهي عن العجلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ وإثبات قراءته في لسانك كقوله تعالي: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾[2]. ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ﴾ أي: قرأه عليك جبريل ﴿فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ أي: قراءته عليك.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ إذا أُشكل عليك شيء من معانيه.

الرد على منكري البعث وبيان أحوال الناس يوم القيامة:

﴿كَلَّا﴾ ردع عن إنكار البعث، وأكَّده بقوله: ﴿بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ أي: بل أنتم يا بني آدم لأنَّكم خلقتم من عَجَل، وطُبِعْتم عليه تستعجلون في كل شيء، و﴿تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا وشهواتها. ﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها.

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) سورة طه . الآية: ١١٤.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وُجُوهٌ﴾ هي وجوه المؤمنين ﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ حسنة ناعمة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة[١].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كالحة شديدة العبوسة، وهي وجوه الكفار.

﴿تَظُنُّ﴾ تتوقع ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ فعل هو في شدته ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية تقصم فَقَار الظَّهْر.

كفى بالموت واعظًا:

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك وتَنَبَّهُوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: الروح، ولم يجر لها ذكر؛ لأنَّ الآية تدل عليها ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ جمع تُرقوة[٢]: وهي ثغرة النَّحْر، ولكل إنسان ترقوتان عن يمينه وعن شماله.

﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ أي: قال أحد الحاضرين لبعض من معه: أيُّكم يرقيه ممَّا به؟ ﴿وَظَنَّ﴾أيقن المحتضر ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أنَّ هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة له. ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ التوت ساقاه عند موته، وقيل: شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة، على أنَّ الساق مَثَلٌ في الشدة.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أي: مساق العباد إلى حيث أمر اللَّه إمَّا إلى الجنة أو إلى النار.

---

(١) وذلك يكون في الآخرة إن شاء الله.
(٢) التَّرُقوة عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، وبلغت الروح التراقي كناية عن مشارفة الموت.

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿ فَلَا صَدَّقَ ﴾ بالرسول والقرآن ﴿ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ الإنسان المذكور في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾. ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ ﴾ بالقرآن ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن الإيمان. ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ يتبختر، وأصله يتمطط، أي: يتمدد، وأبدلت الطاء ياء؛ لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة. ووُصف المتبختر في مشيه بذلك؛ لأنَّه يمدُّ خطاه على سبيل الإعجاب بنفسه، والتباهي بما هو عليه من كفر وضلال.

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ بمعنى ويل لك، وهو دعاء عليه بالهلاك وسوء العاقبة.

﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾ كُرِّر للتأكيد، كأنه قال: ويل لك فويل لك، ثم ويل لك، فويل لك. وقيل: ويل لك يوم الموت، وويل لك في القبر، وويل لك حين البعث، وويل لك في النار.

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أيحسب الكافر أن يُتْرك مُهملا، لا يُؤمر ولا يُنهى ولا يُبعث ولا يُجازى.

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ قرأ بالياء ابنُ عامر وحفص، أي: يُراق المني في الرحم، وقرأ بقية القراء بالتاء (تمنى) أي: النطفة. ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً ﴾ أي: صار المني قطعة دم جامد بعد أربعين يومًا.

﴿ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ فخلق اللَّه منه بشرًا سويًا ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ﴾ من الإنسان. ﴿ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ أي: الصنفين. ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أليس الفعَّال لهذه الأشياء بقادر على الإعادة، وكان ﷺ إذا قرأها يقول: سبحانك بلى. واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية

- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ لاستبعاد الأمر وإنكاره.

- بين قوله تعالى: ﴿قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ مقابلة بين نضارة وجوه المؤمنين، وعبوسة وجوه المجرمين.

- في قوله تعالى: ﴿بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ كناية عن الإشراف على الموت.

- بين قوله تعالى: ﴿صَدَّقَ﴾ و﴿كَذَّبَ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ كناية عن الشدة.

- في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ استفهام إنكاري بقصد التوبيخ والتقريع.

- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ التفات من الغَيبة إلى الخطاب، تقبيحًا له وتهجينًا.

- في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ قُدِّم الخبر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ على المبتدأ ﴿ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ لإفادة التخصيص.

- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ التكرار للمبالغة في التهديد والوعيد، فهو تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ ـ إثبات البعث بعد الموت، وحتمية وقوعه.

٢ ـ العاقل مَنْ اتعظ بيوم القيامة، واستعد له.

٣ ـ كل إنسان سَيُخْبَر بعمله يوم القيامة، ويُجازى عليه.

٤ ـ التعجل مذموم، ولو في أمور الدين.

٥ ـ سبب إنكار المشركين البعث والحساب هو إيثار الدنيا، وترك الاستعداد للآخرة والعمل لها.

٦ ـ ثبوت رؤية المؤمنين للَّه عز وجل في الآخرة، وحرمان الفجَّار منها.

٧ ـ تذكير الناس قاطبة بشدة الحال وصعوبة الأمر عند نزول الموت.

٨ ـ وَعِيدُ الكافر بالعذاب والهلاك؛ لفساد عقيدته وعمله وخُلُقه.





الأسئلة

س١: اذكر قول الجمهور في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، وما إعراب قوله تعالى: ﴿قَٰدِرِينَ﴾؟

س٢: ما معنى ﴿بَنَانَهُۥ﴾؟ وعلام عُطف قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾؟ وما معنى: خسف - برق - جمع؟ وما معنى ﴿بَصِيرَةٞ﴾؟ وما الغرض الذي أفادته الهاء، وما سبب رفعه؟ وأين خبره؟

س٣: ما الذي أفاده قوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾؟ ومَنْ المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾؟ وما معنى: علقة - فسوى؟

س٤: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾؟

س٥: اشرح بإيجاز قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊



سورة الإنسان
(مكيَّة وهي إحدى وثلاثون آية)

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

خَلْقُ الإنسان وهدايته السبيل

﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ قد مضى، ﴿عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ آدم عليه السلام ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ أربعون سنة مصورًا قبل نفخ الروح فيه ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ لم يُذكر اسمه ولم يُعرف ما يُراد به؛ لأنَّه كان طينًا يمر به الزمان، ولو كان غير موجود كما قيل لم يُوصف بأنَّه قد أتى عليه حينٌ من الدهر. ومحل قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ النصب على الحال من الإنسان أي: أتى عليه حينٌ من الدهر غير مذكور ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي ولَد آدم، وقيل: الأول ولد آدم أيضًا و ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ على هذا مدة لبثه في بطن أمه، إلى أنْ صار شيئًا مذكورًا بين الناس ﴿نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ نَعْتٌ أو بدلٌ منها أي: من نطفة قد امتزج فيها الماءان، و ﴿نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ أي أخلاط متفرقة، وهو لفظٌ مفردٌ غير جمع؛ ولذا وقع صفة للمفرد ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ حال أي: خلقناه مبتلين أي: مريدين ابتلاءه بالأمر والنهي، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ ذا سمع وبصر. ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيّنا له طريق الهدى بأدلة العقل والسمع، ﴿إِمَّا شَاكِرٗا﴾ مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ كافرًا حالان من الهاء في ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ﴾ أي: إنْ شكر وكفر فقد هديناه السبيل في الحالين، أو حال من السبيل

﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾

أي: عرّفناه السبيل إما سبيلًا شاكرًا وإما سبيلًا كفورًا، ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز.

جزاء الكفار والأبرار يوم القيامة:

ولمَّا ذكر الفريقين أتبعهما بذكر ما أعدَّ لهما فقال: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ ﴾ جمع سلسلة بغير تنوين: وهي قراءه حفص وابن كثير وأبو عمرو وحمزة، وقرأ غيرهم بالتنوين؛ ليناسب ﴿ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾؛ إذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب عند بعض النحاة ﴿ وَأَغۡلَٰلٗا ﴾ جمع غُلٍّ، وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه ﴿ وَسَعِيرًا ﴾ نارًا موقدة. وقال: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ ﴾ جمع لبرّ أو بَار، كرَبٍّ وأرباب، وشاهد وأشهاد، وهم الصادقون في الإيمان، أو الذين لا يؤذون الذّر أي: صغار النمل، ولا يُضمرون الشرَّ[1]، ﴿ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ ﴾ خمر، فنفس الخمر تسمى كأسًا، وقيل: الكأس الزجاجة إذا كان فيها خمر ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا ﴾ ما تُمزج به ﴿ كَافُورًا ﴾، ماء كافور وهو اسم عين في الجنة، ماؤها في بياض الكافور، ورائحته وبرده ﴿ عَيۡنٗا ﴾ بدل من كافورا ﴿ يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ أي: منها[2] أو الباء مزيدة، أي: يشربها أو هو محمول على المعنى أي يلتذُّ بها أو يُروي بها. وإنَّما قال أولًا بحرف ﴿ مِن ﴾ وثانيًا بحرف الباء؛ لأنَّ الكأس

(١) المراد أنهم لا يؤذون شيئا من خلق الله حتى صغار النمل.
(٢) وهذا من باب التضمين حيث ضمن بها معنى منها.

﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا ﴾

مبتدأ شربهم وأول غايته، وأمَّا العين فيها يمزجون شرابهم، فكأنَّه قيل: كأس يشرب عباد اللَّه بها الخمر ﴿ يُفَجِّرُونَهَا ﴾ يفجرونها حيث شاءوا من منازلهم ﴿ تَفْجِيرًا ﴾ سهلًا لا يمتنع عليهم.

من صفات الأبرار:

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ بما أوجبوا على أنفسهم، وهو جواب عن سؤال مقدر، كأن سائلًا قال: ما لهم يرزقون ذلك؟ والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالمواظبة على أداء الواجبات؛ لأنَّ مَنْ وفّى بما أوجبه على نفسه لوجه اللَّه، كان بما أوجبه اللَّه عليه أوفى ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ ﴾ شدائده ﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ منتشرًا من استطار الفجر أي: انتشر ضوؤه ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ أي: يطعمون الطعام مع حبهم له، وحاجتهم إليه، أو على حب اللَّه ﴿ مِسْكِينًا ﴾ فقيرًا عاجزًا عن الاكتساب ﴿ وَيَتِيمًا ﴾ صغيرًا لا أب له ﴿ وَأَسِيرًا ﴾ مأسورًا مملوكًا أو غيره.

ثم علَّلوا إطعامهم فقالوا: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ أي: لطلب ثوابه، أو هو بيانٌ من اللَّه عز وجل عمّا في ضمائرهم؛ لأنَّ اللَّه ـ تعالى ـ علمه منهم، فأثنى عليهم، وإن لم يقولوا شيئًا ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً ﴾ هدية على ذلك ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ ثناء، وهو مصدر كالشكر ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا ﴾ أي: إنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب اللَّه على طلب المكافأة بالصدقة، أو إنَّا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه

﴿ يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ ﴾

حتى نأمن من ذلك الخوف ﴿ يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴾ وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو: نهارك صائم. والقمطرير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه.

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ ﴾ صانهم من شدائده ﴿ وَلَقَّىٰهُمۡ ﴾ أعطاهم، ﴿ نَضۡرَةٗ ﴾ حُسنًا في الوجوه ﴿ وَسُرُورٗا ﴾ فرحًا في القلوب ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ ﴾ بصبرهم على الإيثار. ﴿ جَنَّةٗ ﴾ بستانًا فيه مأكل هنيء ﴿ وَحَرِيرٗا ﴾ ملبسًا بهيًا ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ﴾ حال من «هم» في ﴿ وَجَزَىٰهُم ﴾ ﴿ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ ﴾ الأسرة جمع الأريكة ﴿ لَا يَرَوۡنَ ﴾ حال من الضمير المرفوع في ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ﴾ أي: غير رائين ﴿ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴾؛ لأنَّه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل، لا حَرَّ شمسٍ فيها يحمي، ولا شدةَ بردٍ تؤذي. فالزمهرير: البرد الشديد، وقيل: القمر. أي: الجنة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا ﴾ قريبة منهم ظلال أشجارها عطفت على جنة أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها، كأنّهم وُعدوا بجنتين؛ لأنهم وُصفوا بالخوف بقوله: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[1]. ﴿ وَذُلِّلَتۡ ﴾ سُخِّرت للقائم والقاعد والمتكئ، وهو حال من ﴿ وَدَانِيَةً ﴾ أي: تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها عليهم، أو معطوفة عليها أي: ودانية عليهم ظلالها ومذلّلة

---

(١) سورة الرحمن الآية: ٤٦.

﴿قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨﴾

﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها جمع قِطْف بكسر القاف وسكون الطاء.

﴿تَذۡلِيلٗا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ﴾ أي: يدير عليهم خدمهم كؤوس الشراب. والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء ﴿وَأَكۡوَابٖ﴾ أي: من فضة جمع كوب وهو إبريق لا عُرْوة له[1] ﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠﴾ «كان» تامة فلا تحتاج إلى خبرها أي: كونت فكانت قوارير بتكوين اللّٰه، وهو نصب على الحال ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ﴾ أي: مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها.

﴿قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا﴾ صفة لـ ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ﴾ أي: أهل الجنة قدّروها على أشكال مخصوصة، فجاءت كما قدَّروها تكرمة لهم، أو السقاة جعلوها على قدر ريّ شاربها فهي ألذ لهم وأخف عليهم. وعن مجاهد: لا تفيض ولا تغيض أي: لا تزيد ولا تنقص.

﴿وَيُسۡقَوۡنَ﴾ أي: الأبرار ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأۡسٗا﴾ خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا﴾ بدل من ﴿زَنجَبِيلًا﴾﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿تُسَمَّىٰ﴾ تلك العين ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ سُمِّيت العين زنجبيلًا، لطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذّه وتستطيبه. و﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ لسلاسة انحدارها وسهولة مساغها. قال أبو عبيدة: ماء سلسبيل أي عذب طيب.

---

(١) العروة: المقبض أو اليد.

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ ﴾ غلمان يُنشئهم اللَّه لخدمة المؤمنين، أو ولدان الكفرة يجعلهم اللَّه تعالى خدمًا لأهل الجنة ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ لا يموتون ﴿ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ ﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في مجالس المؤمنين ﴿ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴾ وتخصيص المنثور، لأنّه أزين في النظر من المنظوم ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ ﴾ ظرف أي في الجنة وليس لـ ﴿ رَأَيۡتَ ﴾ مفعول ظاهرٌ ولا مقدرٌ ليشمل كُلَّ مرئي تقديره: وإذا اكتسبت الرؤية في الجنة ﴿ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا ﴾ كثيرًا ﴿ وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴾ واسعًا. وقيل: مُلك لا يعقبه هُلك بضم الهاء وسكون اللام أي: هلاك، أو لهم فيها ما يشاؤون أو تسلِّم عليهم الملائكة، ويستأذنون في الدخول عليهم ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ﴾ بالنصب على أنه حال من الضمير في ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: يطوف ولدانٌ في الجنة على المنعَّمين فيها ﴿ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ أي: ما يعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج[1].

﴿ خُضۡرٞ ﴾ جمع أخضر، ﴿ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ ﴾ غليظ، قرأ برفعهما حملًا على كونها صفة ﴿ ثِيَابُ ﴾: نافع وحفص، وقرأ بجرهما: حمزة والكسائي حملًا على ﴿ سُندُسٍ ﴾، ﴿ وَحُلُّوٓاْ ﴾ عطف على ﴿ وَيَطُوفُ ﴾ ﴿ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ ﴾، وفي سورة «الملائكة» ـ أي فاطر ـ: ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ ﴾[2]. قال ابن المسيب: لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: واحدة من فضة، وأخرى من ذهب، وأخرى من لؤلؤ. ﴿ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾ أُضيف الفعل إليه تعالى للتشريف والتخصيص.

---

(١) السندس: مارق من ثياب الحرير، وقيل: مارق من الديباج، والديباج نوع من الحرير المنسوج والاستبرق: ما غلظ من ثياب الحرير.
(٢) سورة فاطر الآية: ٣٣.

﴿شَرَابًا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ٢٢ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ٢٣ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ٢٤﴾

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ليس برِجْسٍ كخمر الدنيا، أو لأنَّه لم يعصر فتمسه الأيدي المُتَّسِخَة وتدوسه الأقدام الدَنسة يقال لأهل الجنة: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ محمودًا مقبولًا مرضيًا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير: لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا.

تسلية الرسول ﷺ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ تكرير الضمير بعد إيقاعه اسمًا لإنَّ، تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص اللَّه بالتنزيل؛ ليستقر في نفس النبي ﷺ أنَّ اللَّه ـ تعالى ـ نزَّل القرآن مفرقًا لحكمة يريدها اللَّه، ومن الحكمة الأمر بالمصابرة ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ الرسالة، واحتمال الأذية، وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ من الكفرة، للضجر من تأخير الظفر ﴿ءَاثِمًا﴾ راكبًا لما هو إثم داعيًا لك إليه ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ فاعلًا لما هو كفر داعيًا لك إليه؛ لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر، فنهى أن يساعدهم على الأولين دون الثالث.

وقيل: الآثم: عتبة بن ربيعة؛ لأنَّه كان كثير المآثم والفسوق، والكفُور: الوليد ابن المغيرة؛ لأنَّه كان مغاليًا في الكفر والجحود. والظاهر أنَّ المراد كل آثم وكافر أي: لا تطع أحدهما، وإذا نهي عن طاعة أحدهما لا بعينه، فقد نهى عن طاعتهما معًا ومتفرقًا. ولو كان العطف بالواو لجاز أن يطيع أحدهما؛ لأنَّ الواو للجمع

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾

فيكون منهيًا عن طاعتهما معًا لا عن طاعة أحدهما، وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعًا أنهى. وقيل: «أو» بمعنى «ولا» أي ولا تطع آثمًا ولا كفورًا ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ صلِّ له ﴿ بُكْرَةً ﴾ صلاة الفجر ﴿ وَأَصِيلًا ﴾ صلاة الظهر والعصر.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ ﴾ وبعض الليل، فصل صلاة العشاءين أي: المغرب والعشاء ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ أي: تهجد له جزءًا طويلًا من الليل ثلثيه، أو نصفه، أو ثلثه.

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الكفرة ﴿ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ يؤثرونها على الآخرة، ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ ﴾ أمامهم، أو خلف ظهورهم ﴿ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ شديدًا لا يعبؤن به، وهو يوم القيامة لأن شدائده تثقل على الكفار ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ ﴾ أحكمنا ﴿ أَسْرَهُمْ ۖ ﴾ خلقهم، ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾، أي: إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبَدَّلنا أمثالهم في الخلقة مِمَّن يطيع، ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ السورة ﴿ تَذْكِرَةٌ ۖ ﴾ عظة ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ بالتقرب إليه بالطاعة له، واتباع رسوله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ اتخاذ السبيل إلى اللَّه. ومحل ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ النصب على الظرف أي إلا وقت مشيئة اللَّه، وإنما يشاء اللَّه ذلك ممن علم منه اختياره ذلك.



﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾﴾

وقيل: هو لعموم المشيئة في الطاعة والعصيان والكفر، والإيمان فيكون حجة لنا على المعتزلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون منهم من الأحوال ﴿حَكِيمًا﴾ مصيبًا في الأقوال والأفعال ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ جنته؛ لأنَّها برحمته تنال، وهو حجة على المعتزلة؛ لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلًّا في رحمته؛ لأنه شاء إيمان الكل، والله تعالى أخبر أنه يُدْخِلُ من يشاء في رحمته، وهو الذي علم منه أنه يختار الهدى، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين؛ لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها، ونصب بفعل مضمر، نحو: أوعد وكافأ، يفسره ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾.

من الأسرار البلاغية:

- بين قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا﴾، و ﴿كَفُورًا﴾ طباق.
- في قوله تعالى: ﴿يَوۡمًا عَبُوسًا﴾ مجاز عقلي، أسند العبوس إلى اليوم من إسناد الشيء إلى زمانه مثل: نهاره صائم.
- بين قوله تعالى: ﴿شَمۡسًا﴾. و ﴿زَمۡهَرِيرًا﴾ طباق.
- في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤًا مَّنثُورًا﴾ تشبيه بليغ، أي كاللؤلؤ المنثور.
- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءً﴾ إيجاز بالحذف، أي يقال لهم: إن هذا.
- في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ مجاز عن قبول الطاعة، والثواب الكثير.



ـ في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ مقابلة؛ حيث قابل بين المحبة والترك، وبين العاجلة والباقية.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ لم يكن الإنسان قبل خلقه بأمر ربه شيئًا معروفًا.

٢ـ القصد من خلق الإنسان، هو الابتلاء والاختبار، لذا أمدَّه اللَّه تعالى بمفاتيح المعرفة والهداية والعلم، وأعطاه ما يصحُّ معه الابتلاء، وهو السمع والبصر، وهما كنايتان عن الفهم والتمييز.

٣ـ تنوُّع الجزاء بعد التكليف والتمكين من المأمورات، فمَنْ كفر فله العقاب، ومَنْ شكر فله الثواب.

٤ـ الأبرار يشربون في الجنة الخمر الممزوجة بالكافور، المختومة بالمسك، المختلطة بعين ماء عذبة في الجنة يشربون منها، وتكون تحت تصرفهم وأمرهم.

٥ـ من أسباب نعيم الأبرار أمور ثلاثة:

(أ) وفاؤهم بالنذور وأداؤهم ما فرض اللَّه عليهم.

(ب) خوفهم من يوم القيامة.

(ج) إطعامهم الطعام على قلّته وحبهم له.

٦ـ اللَّه يجزي الأبرار بصبرهم على طاعته، وبعدهم عن معصيته جنان الخلد يدخلونها، ويلبسون فيها الحرير.



الأسئلة

س١ : مَنْ المراد بالإنسان؟ وما معنى الحين والدهر؟ ومتى هذا الحين؟ وما معنى ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾؟ وما إعرابه؟ وما إعراب ﴿ شَاكِرًا ﴾و ﴿ كَفُورًا ﴾؟ وما المراد بهما؟

س٢ : مَنْ المراد بالأبرار؟ وما مفرده؟ وما المراد بالكأس وكافورًا؟ وما إعراب ﴿ عَيْنًا ﴾؟ وما معنى الباء في قوله تعالى: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾؟ وما معنى ﴿ يُفَجِّرُونَهَا ﴾؟ ولم خص النذر بالذِّكْر؟.

س٣: ما معنى ﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾؟ وما مرجع الضمير في ﴿ حُبِّهِۦ ﴾؟ وما معنى العبوس؟ وما فائدة ذكر ﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ بعده؟ وما معناه؟ وما هي النضرة؟ وما فائدة ذكر ﴿ وَسُرُورًا ﴾ بعدها؟

س٤ : ما المراد من نفي رؤية الشمس والزمهرير؟ وما المراد بالزمهرير؟ وما المراد بالقطوف؟ ومَنْ الذي يطوف بالآنية؟ وما معنى الآنية؟ ولم ذُكرت دون ما فيها؟ وما المراد بالكوب؟

س٥: ما المراد بحكم ربك؟ وما المراد بذكر اسم ربك؟ ولم خص البكرة والأصيل وبعض الليل بالذكر؟ وما المراد من التسبيح ليلًا؟ وما المراد من الطول؟ وما هو الأسر؟ المذكور فى قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ وما معنى ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾؟ وما مفعول ﴿ شَآءَ ﴾؟.

س٦: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ شَاكِرًا ﴾و ﴿ كَفُورًا ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾؟

س٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊

سورة المرسلات
(مكية وهي خمسون آية)

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾

علامات يوم القيامة:

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهنَّ بأوامره فأسرعن في مضيهنَّ، وبطوائف أُخرى من الملائكة نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهنَّ بالوحي، أو نشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرَّقن بين الحق والباطل، فألقين ذكرًا إلى الأنبياء عليهم السلام ﴿عُذْرًا﴾ للمحقين ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ للمبطلين.

أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن، وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾[1] فألقين ذكرًا إمَّا عذرًا للذين يعتذرون إلى اللَّه بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة اللَّه في الغيث ويشكرونها، وإمَّا نذرًا للذين لا يشكرون، وينسبون ذلك إلى الأَنْواء، وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية. ﴿عُرْفًا﴾ حال أي: متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضًا، أو مفعول له أي: أُرسلن للإحسان والمعروف. و﴿عَصْفًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ مصدران. ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ منصوبان على البدل من ﴿ذِكْرًا﴾ أو على المفعول له.

---

(١) سورة الروم الآية: ٤٨.



﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ إنَّ الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة ﴿ لَوَٰقِعٌ ﴾ لكائن لا ريب فيه، وهو جواب القسم، ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ محيت، أو ذهب بنورها، وجواب ﴿ فَإِذَا ﴾ محذوف، والعامل فيها جوابها، وهو وقوع الفَصْل ونحوه، و﴿ ٱلنُّجُومُ ﴾ نائب فاعل لفعل محذوف يفسره ﴿ طُمِسَتْ ﴾. ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾ فتحت فكانت أبوابًا ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ قلعت من أماكنها، ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أي وُقِّتَتْ، ومعنى توقيت الرسل: تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم ﴿ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ أُخِّرت وأُمهلت، والاستفهام فيه لتعظيم ذلك اليوم وتعجيب من هوله، والتأجيل من الأجل، كالتوقيت من الوقت ﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴾ بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ الاستفهام لتعظيم أمر يوم الفصل ﴿ وَيْلٌ ﴾ مبتدأ، وإن كان نكرة؛ لأنه في أصله مصدر منصوب سد مسد فعله، ولكنَّه عُدل به إلى الرفع؛ للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه، ونحوه: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾[1] ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ظرف ﴿ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بذلك اليوم خبره.

---

(١) سورة الرعد الآية: ٢٤.

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾

تهديد الكافرين وتخويفهم:

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأمم الخالية المكذبة ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴾ مستأنف بعد وقف، وهو وعيد لأهل مكة، أي ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين؛ لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الفعل الشنيع ﴿ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ بكل مَنْ أجرم ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بما أوعدنا، ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ وهو النطفة ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: الماء ﴿ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ مستقر يتمكن فيه وهو الرحم، ومحلُّ قوله: ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ النصب على الحال، أي: مؤخَّر إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه اللَّه وحكم به، وهو تسعة أشهر، أو ما فوقها أو ما دونها ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ فقدَّرنا ذلك تقديرًا فنعم المُقدِّرون له نحن، أو فقدَرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن، والأول أصح ويؤيده قراءة نافع وعلي بالتشديد، وقوله: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾[1]. ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بنعمة الفطرة. ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ هو من كفت الشيء إذا ضمَّه وجمعه، وهو اسم ما يَكفِت ﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾ منصوب بفعل مضمر يدل عليه ﴿ كِفَاتًا ﴾ وهو تكفت أي: تكفت ﴿ أَحْيَآءً ﴾ على ظهرها ﴿ وَأَمْوَٰتًا ﴾ في بطنها، والتنكير فيهما للتفخيم، أي: تكفت أحياء

---

(١) سورة عبس الآية: ١٩.



﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾

لا يعدون وأمواتًا لا يحصرون ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ جبالًا ثوابت ﴿ شَامِخَاتٍ ﴾ عاليات ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ عذبًا ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بهذه النعمة ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى النار التي كنتم بها تكذبون ﴿ انطَلِقُوا ﴾ تكرير للتوكيد ﴿ إِلَىٰ ظِلٍّ ﴾ دخان جهنم ﴿ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ يتشعب لعظمه ثلاث شعب، وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق ﴿ لَّا ظَلِيلٍ ﴾ نعت ظل أي لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار ﴿ وَلَا يُغْنِي ﴾ أي: غير مغنٍ لهم ﴿ مِنَ اللَّهَبِ ﴾ من حر اللهب شيئًا ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي: النار ﴿ تَرْمِي بِشَرَرٍ ﴾ هو ما تطاير من النار ﴿ كَالْقَصْرِ ﴾ في العظم، وقيل: هو الغليظ من الشجر، الواحدة قَصْرة ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ ﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم غير أبي بكر ﴿ جِمَالَتٌ ﴾ جمع جمل، وقرأ الباقون جمالات على أنَّه جمع الجمع ﴿ صُفْرٌ ﴾ جمع أصفر أي: سود تضرب إلى الصفرة، وشبه الشرر بالقصر، لعظمه وارتفاعه، وبالجمال للعظم والطول واللون ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بأنَّ هذه صفتها.

﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية، وعن قوله تعالى:



﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[1] فقال: في ذلك اليوم مواقف في بعضها يختصمون، وفي بعضها لا ينطقون، أو لا ينطقون بما ينفعهم فجَعَلَ نُطقَهُم كَلَا نُطْقٍ.

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ في الاعتذار ﴿ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ عطف على ﴿ يُؤْذَنُ ﴾ داخل في حكم النفي أي: لا يكون لهم إذن ولا اعتذار ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بهذا اليوم ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ بين المُحِق والمُبطِل والمحُسِن والمسِيء بالجزاء ﴿ جَمَعْنَاكُمْ ﴾ يا مكذبي محمَّد ﴿ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ والمكذبين قبلكم ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ حيلة في دفع العذاب ﴿ فَكِيدُونِ ﴾ فاحتالوا عليَّ بتخليص أنفسكم من العذاب ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالبعث.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ من عذاب اللَّه ﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ جمع ظلٍّ ﴿ وَعُيُونٍ ﴾ جارية في الجنة، ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أي لذيذة مشتهاة ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ في محل نصب على الحال من ضمير ﴿ الْمُتَّقِينَ ﴾ في الظرف الذي هو ﴿ ظِلَالٍ ﴾ أي: هم مستقرون في ظلال مقولًا لهم ذلك ﴿ هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ فأحسنوا العمل تثابوا عليه ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالجنة

---

(١) سورة الزمر الآية: ٣١.



﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ ﴾ كلام مستأنف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقوله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾[1] ﴿ قَلِيلًا ﴾، لأنَّ متاع الدنيا قليل ﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ كافرون أي: إن كل مجرم يأكل ويتمتع أيامًا قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالنعم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ ﴾ اخشعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وَحْيِه، واتباع دينه واتركوا هذا الاستكبار ﴿ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ لا يخشعون ولا يقبلون ذلك، ويُصرِّون على استكبارهم، أو إذا قيل لهم صلوا لا يصلون ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالأمر والنهي ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ ﴾ بعد القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنَّه آية مبصرة، ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية، فبأيِّ كتابٍ بعده يؤمنون؟! والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ تأكيد بذكر المصدر لزيادة البيان، وتقوية الكلام.
- بين قوله تعالى: ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ طباق.
- في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ جيء بصيغة الاستفهام، لزيادة تهويل الأمر وتعظيمه والتعجيب من هوله.
- بين قوله تعالى: ﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾ طباق.

---

(١) سورة فصلت الآية: ٤٠.

- في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ استفهام تقريري.

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ تشبيه مرسل مجمل لحذف وجه الشبه.

- في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ تشبيه مرسل مفصل.

- في قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ أسلوب التهكم، سُمِّي العذاب ظلّاً تهكمًا وسخريةً بهم.

- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ مجاز مرسل، أطلق الركوع، وأراد به الصلاة، فهو من قبيل إطلاق البعض وإرادة الكل.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ القسم بالرياح وبالملائكة على أنَّ يوم القيامة والبعث حقٌّ كائن، لا محالة.

٢ـ القسم لا يكون إلا بالله عز وجل أو بصفة من صفاته، وأما الحق سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما شاء لما شاء.

٣ـ العذاب والخزي لِمَنْ كذَّب بالله وبرسله وبكتبه وبيوم الفصل.

٤ـ التذكير بعظيم إنعام اللَّه، والتحذير من مغبة كفران النعمة.

٥ـ من المقرر الظاهر عقلًا عند البشر أنَّ القادر على الابتداء، قادر على الإعادة من باب أولى.

٦ـ بيان كيفية عذاب الكفار في الآخرة.

٧ـ النار شديدة الاشتعال كثيفة، متتابعة، سريعة الالتهاب.



٨ـ من عذاب الكفار مضاعفة حسرتهم، وتزايد غمومهم وهمومهم، فإذا وجدوا ما أعد اللَّه للمتقين من أنواع السعادة والكرامة، تحسروا واغتموا، وكانت حالهم في غاية الذل والهوان والخزي.

❊ ❊ ❊



الأسئلة

س١: ما المراد بالمرسلات؟ وما إعراب ﴿عُرْفًا﴾؟ وما معناه؟ وما معنى ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾؟ وما موصوفها؟ وما فائدة ﴿عَصْفًا﴾؟ وما المراد بالناشرات؟ وما موصوفها؟ وما مفعولها؟ وما إعراب ﴿ذِكْرًا﴾؟ وما المراد به؟

س٢: ما معنى طمس النجوم؟ وما العامل في ﴿فَإِذَا﴾؟ وعلام ارتفع النجوم؟ وما المراد بنسف الجبال؟ وما معنى ﴿أُقِّتَتْ﴾؟ وما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾؟ ومَنْ المراد بالأولين؟

س٣: ما معنى ﴿مَّهِينٍ﴾؟ وما المراد بالقرار المكين؟ وما هو القدر المعلوم؟ وما مفعول ﴿فَقَدَرْنَا﴾؟ وما معنى القادرون؟ وما المراد بالظل؟ وما مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى﴾؟

س٤: لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾؟ وما المراد من الكيد؟ وما مفعول ﴿فَكِيدُونِ﴾؟ وما المحل الإعرابي لجملة ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾؟.

س٦: ما فائدة التأكيد بذكر المصدر في قوله تعالى: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾، وما المستفاد من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾؟

س٧: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.



قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات